فلَمَّا بلغت الرسالةُ ابنَ التوْأَم [1] ، كرِه أن يُجيب أبا العاص ، لِمَا فى ذلك من المناقشة والمباينة ، وخاف أن يترقَّى الأمرُ إلى أكْثَر من ذلك . فكتب هذه وبعثَ بها إلى الثقفى :

* رسالة ابن التوأم إلى الثقفى :
وهى إجابة عن رسالة أبى العاص :

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعدُ ، فقد بلغنى ماكان من ذكر أبى العاص لنا ، وتنويهِه [2] بأسمائنا ، وتشنيعِه علينا . وليس يمنعنا من جوابه إلّا أنّه إن أجابنا لم يكن جوابُنا إيّاه على قوله الثانى ، أحقَّ بالترك من جوابنا له على قوله الأوّل . فإن نحن جعلنا لابتدائه جوابا ، وجعلنا لجوابه الثانى جوابا ، خرجنا إلى التهاتر [3] وصِرْنا إلى التخابر [4] . ومَنْ خَرَج إلى ذلك فقد رضِىَ باللَّجاج حَظّا ، وبالسُّخْف نصيبا .

وليس يحْترس من أسباب اللَّجاج إلّا منْ عَرَف أسبابَ البُلْوَى . ومن وقاه الله سوءَ التَّكَفِّى [5] وسُخْفَه ، وعصمه من سوء التصميم ونكَدِه ، فقد اعتدلت طباعُه ، وتساوت خواطره . ومن قامت أخلاطُه [6] على الاعتدال ، وتكافأَتْ خواطرُه فى الوزن ، لم يَعْرِف من الأعمال [إلّا] الاقتصادَ ، ولم يَجِدْ أفعاله أبَداً إلّا بين التقصير والإفراط [7] ؛ لأَنَّ الموزونَ لا يولد إلّا موزوناً [8] ، كما أنّ المختلف لَا يُوَلِّد إلّا مختلفا . فالمتتابعُ [9] لا يَثْنيه زَجْرٌ ، وليست له غاية دونَ التلف . والمتكَفِّى [10] ليس له مَأْتًى ولا جِهَة ، ولا له رُقْية ، ولا فيه حيلة . وكل متلوّنٍ فى الأرض فمنحَلّ العَقْد ، مُيَسَّرٌ لكلّ ريح .

فَدَعْ عنك خِلْطَةَ الإمَّعَة ، فإنّه حارص [11] لا خير فيه ؛ واجتنب ركوب الجَمُوح ذى

---

(١) جاء ذكر ابن التوأم فى أول الرسالة ، إذ قال كاتبها أبو العاصى : « واختلافك إلى ابن التوأم » .
(٢) المراد بالتنويه هنا مجرد الذكر .
(٣) الترامى بالتهم .
(٤) التغالب فى العلم والمعرفة .
(٥) المايل والمراد الميل عن الصواب .
(٦) الأخلاط فى الطب القديم : الدم والبلغم والصفراء والسوداء والمراد المزاج .
(٧) الذى بينهما : الاعتدال .
(٨) بتشديد اللام وكسرها .
(٩) المسرع إلى الشر .
(١٠) المستبد برأيه .
(١١) ملتهم .

النَزَوات ، فإنّ غايتَه القَتْلُ الزُّؤَافُ[1] . ولا فى الحَرُون ذى التصميم . والمتلوِّنُ شرٌّ من المصمِّم ، إذْ كنت لا تعرف له حالاً يقصِد إليها ، ولا جهةً يعملَ عليها . ولذلك صار العاقلُ يَخْدعُ العاقلَ ، ولا يَخْدَعُ الأحمقَ ، لأنّ أبْواب تدبير العاقِل وحِيَلَهَ معروفةٌ . وطُرُقَ خواطره مسلوكةٌ ، ومذاهِبَه محصورةٌ معدودةٌ . وليس لتدبير الأحمق وحِيَلِهِ جِهَةٌ واحدة من أخطأها كذَب . والخبر الصادقُ عن الشىء الواحد واحدٌ . والخبرُ الكاذبُ عن الشىء الواحد لا يُحْصَى له عددٌ ، ولا يوقَفُ منه على حدّ . والمصمِّمُ قتلُه بالإجهاز[2] ، والمتلوِّنُ قتلُه بالتعذيب [3] . فإن قلنا ، فليس إليه نقصِد [4] ، وإن احتججنا ، فلسنا عليه نَرُدُّ . ولكنَّا إليك [5] نقصِد بالقول ، وإليك نريد بالمشورة [6] .

وقد قالوا : احفظ سرَّك ، فإنّ سِرّك من دمك . وسواءٌ ذهابُ نفسِك ، وذهابُ ما به يكونُ قِوامُ نَفْسك [7] . قال المُنْجَابُ العَنْبَرِىّ : « ليس بِكبيرٍ ما أصلحه المال » . وفَقْدُ الشىء الذى به تَصْلُحُ الأمور أعظمُ من الأمور . ولهذا قالوا فى الإبل : « لو لم يكن فيها إلّا أنّها رَقُوءُ الدم[8] » ـ فالشىء الذى هو ثمنُ الإبل وغيرِ الإبل أحَقُّ بالصَّوْن . وقد قَضَوْا بأنّ حفظَ المال أشدُّ من جمعه . ولذلك قال الشاعر :

وحِفْظُكَ مالاً قد عُنِيتَ بجمعه أشدُّ من الجمع الذى أنت طالبُهْ

ولذلك قال مشترى الأرض لبائعها ، حين قال له البائع : دفعتُها إليك بطيئةَ [9] الإجابة ، عظيمةَ المَؤُنَة . ـ قال : دفعتُها إليك بطيئةَ الاجتماع[10] ، سريعةَ التَّفَرُّق .

والدِّرهمُ هو القُطْبُ الذى تدور عليه رحَى الدنيا . واعلم أنّ التَّخَلُّصَ من نَزَواتِ الدِّرْهم وتَقَلُّبِهِ ـ من سُكْرِ الغِنَى[11] ـ وتفلُّتِهِ شديدٌ . فلو كان إذ تفلّت ، كان حارسُه صحيحَ العقل ، سليمَ الجوارح ، لردّه فى عِقاله ، ولشدّة بِوثَاق . ولكنّا وجدْنا ضعْفَه عن ضبطه ، بقدر قَلَقِه فى

---

(١) السريع .
(٢) أى أن ضرورة يقع دفعة واحدة . فهو كالقتل بالإجهاز .
(٣) لأن ضرره منقطع .
(٤) أى إلى المتلون .
(٥) الخطاب للمثقى .
(٦) أى نتوجه إليك .
(٧) يقصد السر . وهو قوام النفس لأنه كالدم .
(٨) انقطاع جريانه . والإبل تحقن الدم لأنها تدفع دية وجواب لو محذوف تقديره : لكفاها .
(٩) المراد الإثمار .
(١٠) النفقات .
(١١) المشترى .

يده[1]

ولا تغترّ بقولهم : « مالٌ صامتٌ »[2] ؛ فإنّه أنطقُ من كلّ خطيب ، وأنمُّ من كل نَمَّام . فلا تكترث بقولهم : « هذين الحجرين »[3] ، فتتوهّمَ جُمودَهما وسكونَها ، وقلّةَ ظَعْنِهمَا ، وطولَ إقامتهما ؛ فإنّ عملَهما ، وهما ساكنان ، ونَقْضَهُما للطبائع ، وهما ثابتان ، أكثرُ من صنيع السّمِّ الناقع ، والسبعُ العادِي . فإن كنت لا تكتفى بصنيعة حتّى تُمِدَّهُ[4] ، ولا تحتالُ فيه حتّى يُحتَالَ له[5] ، فالقبرُ خيرٌ لك من الفقر ، والسجنُ خيرٌ لك من الذلّ .

وقولى هذا مُرُّه يُعْقِبُ حلاوةَ الأبد . فخذ لنفسك بالثقة . فقولُكَ الماضى ، حُلْوٌ يُعقب مَرارةَ الأبد . فخذ لنفسك بالثقة . ولا ترض أن يكونَ الحِرْباءُ الراكبُ العودِ[6] أحزمَ منك ؛ فإنّ الشاعرَ يقول :

أنّى أُتِيح لها حِرْباءُ تَنْضُبَةٍ لا يُرسل السَّاق إلّا مُمسِكا ساقا[7]

واحذَر أن تُخرِج من مالك درهما ، حتى ترى مكانَه خيراً منه . ولا تنظرْ إلى كثرته ؛ فإنّ رملَ عالِج[8] لو أُخِذ منه ولم يُرَدَّ عليه ، لذهب عن آخره .

إنّ القومَ قد أكثروا فى ذكر الجود وتفضيلِه ، وفى ذكر الكرم وتشريفِه ، وسمَّوا السَّرَفَ جوداً ، وجعلوه كرما . وكيف يكون كذلك وهو نَتاجُ ما بين الضعف والنَّفْج[9] ؟ وكيف ، والعطاءُ لا يكون سَرَفاً إلّا بعد مجاوزة الحقّ ، وليس وراء الحقّ إلى الباطِل كرمٌ . وإذا كان الباطلُ كَرَماً كان الحقُّ لؤما . والسَّرَفُ ـ حفظَك الله ـ معصيةٌ . وإذا كانت معصيَةُ اللهِ كرماً ، كانت طاعتهُ لؤما . ولئن جمعهما[10] اسم واحد ، وشمِلهما حكم واحد ، (ومضادَّةُ الحقّ للباطل ، كمضَادّةِ الصدق للكذب ، والوفاءِ للغدر ، والجَوْرِ للعدل ، والعلمِ للجهل)[11] لَيَجْمَعَنَّ هذه

---

(١) أى أن التخلص من تقلبات الدرهم وفراره من يد إلى يد ليس أمراً هينا ، ويكون تقلبه بسبب الاغترار بالغنى . أى شاهدنا أن ضعف صاحب الدرهم عن إمساكه مساوٍ لقلق الدرهم فى يده ورغبته فى الفرار .

(٢) المال الصامت هو النقود ، والمال الناطق هو الحيوان .

(٣) الذهب والفضة .

(٤) ضيع الدرهم بمعنى تأثيره .

(٥) تطلقه .

(٦) أى لا تحتال فى حفظه حتى يأتى ما يخرجه من مكنه .

(٧) الحرباء نذكر ، والأنثى حرباءة ، وهو يركب عود الشجرة وينتقل منه إلى عود آخر كما يقول البيت .

(٨) موضع كثير الرمل .

(٩) التفاخر الكاذب .

(١٠) السرف والكرم .

(١١) جواب لئن .

الخصالَ اسمٌ واحد . ولَيَشْملَنّها حكم واحد .

وقد وجدنا اللهَ عاب السَّرَفَ ، وعاب الحَمِيَّة[1] ، وعاب المعصية . ووجدناه قد خَصَّ السَّرَف بما لم يخُصَّ به الحميّة ، لأنّه لَيس حبُّ المرء لرَهْطه من المعصية . ولا أَنَفَتُهُ من الضيم من حَمِيّة الجاهليّة . وإنّما المعصيةُ ما جاوز الحقّ ، والحميّةُ المَعِيبةُ ما تعدّى القصد . فوجدنا اسم الأَنفةِ قد يقع محموداً ومذموماً ، وما وجدنا اسمَ المعصية ، ولا اسمَ السَّرَف يقع أبداً إلّا مذموماً .

وإنّما يُسَرُّ باسم السَّرَف جاهلٌ لا علمَ له ، أو رجل إنّما يُسَرُّ به . لأنّ أحداً لا يُسمّيه مسرفا حتى يكونَ عنده قد جاوز حدَّ الجود ، وحَكم له بالحقّ ، ثم أَرْدَفه بالباطل[2] . فإن سُرَّ من غير هذا الوجهِ ، فقد شارك المادحَ فى الخطإ وشاكَلَه فى وضع الشيء فى غير موضعه .

وقد أكثروا فى ذِكْر الكرم . وما الكرمُ إلا كبعض الخِصال المحمودةِ التى لم يعدَمها بعضُ الذمّ[3] . وليس شيءٌ يخلو من بعض النقص والوهْن . وقد زعم الأوّلون أنّ الكرم يسبّب الغَبَا ، وأنّ الغَبَا يُسبِّب البَلَه[4] ، وأنّه ليس وراءَ البَلَه إلّا العَتَه[5] وقد حَكَوْا عن كِسْرَى أنّه قال :

« احذروا صَوْلةَ الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع » ـ وسواءٌ جاع فظَلَم وأَحْفَظَ[6] وعَسَفَ أم جاع وكذب وضَرَع وأَسَفَّ[7] . وسواءٌ جاع فظلم غيرَه ، أم جاع فظلم نفسَه .

والظلمُ لؤمٌ . وإن كان الظلمُ ليس بلؤم ، فالإنصافُ ليس بكرم . وإن كان الجودُ على مَنْ لا يستحقُّ الجودَ كرما ، فالجودُ لمن وجب له ذلك ليس بكرم . فالجودُ إذا كان لله كان شكراً له ، والشكرُ كرمٌ . ولن يكونَ الجودُ ـ إذا كان معصيةً ـ كرما . فكيف يتكرّمُ من يتوصّل بأياديك إلى معصيتك ؟ وبنعَمِك إلى سُخْطك ؟ فليس الكرمُ إلّا الطاعةَ . وليس اللؤمُ إلّا المعصيةَ ، وليس بجود ما جاوز الحقّ ، وليس بكرم ما خالف الشكر . ولئن كان مُجاوِزُ الحقّ كريما ، ليكُونَنَّ المُقَصِّرُ دونَه كريما[8] .

---

(١) شدة الغضب والإباء .

(٢) أى أنه يفرح بوصفه مسرفا لأنه يتضمن وصفه بالكرم . وصفه إذ يحكم له بالجود ضمنا يتجاوز الحق إلى الباطل وهو مدح مسرف .

(٣) للمغالات فيها .

(٤) ضعف العقل .

(٥) نقص العقل أو فقده .

(٦) أغضب .

(٧) انحط إلى الدناءة .

(٨) أى ليكونن المقصر دون حد الكرم كريماً ، مادام الكرم يفهم هذا الفهم .

فإن قضيتُم بقول العامّة ، فالعامّةُ ليست بقُدْوَة . وكيف يكونُ قدوةً من لا ينظُر ولا يُحصِّل ، ولا يُفكِّر ولا يمثِّل[1] ؟ وإن قضيتم بأقاويل الشعراء ، وما كان عليه أهلُ الجاهليّةِ الجَهْلاء ، فما قبّحوه مما لا يُشَكّ فى حسنه ، أكثرُ من أن نقفَ عليه ، أو نتشاغَل باستقصائه .

على أنّه ليس بجودٍ إلّا ما أوجبَ الشكر ، كما أنّه ليس ببخل إلا ما أوجب اللؤم[2] . ولن تكونَ العطيّةُ نعمةً على المعطَى ، حتى تُراوَدَ بها نفسُ ذلك المعطَى[3] . ولن يجب عليه الشكرُ إلّا مع شَرِيطة القصد[4] .

وكلُّ من كان جودُه يرجع إليه ، ولولا رجوعُه إليه لما جاد عليك ، ولو تهيّأ له ذلك المعنى فى سواك لما قصد إليك ـ فإنّما جعلك مِعْبراً لدَرْك حاجته ، ومَرْكباً لبُلُوغ محبّته . ولولا بعضُ القولِ ، لَوَجَبَ لك عليه حقٌ يجب به الشكر . فليس يجب لمن كان كذلك شكر ، وإن انتفعتَ بذلك منه ، إذ كان لنفسه عمِلَ ، لأنّه لو تهيأ له ذلك النفعُ فى غيرك ، لما تخطّاه إليك .

وإنّما يوصف بالجود فى الحقيقة ، ويُشكرُ على النفع فى حجّةِ العقل ـ الذى إن جاد عليك ، فلك جاد ، ونفْعَك أراد ، من غير أن يرجعَ إليه جودُه بشىء من المنافع ، على جهة من الجهات ، وهو اللهُ وحده لا شريك له .

فإنْ شكرنا للناس على بعض ما قد جَرَى لنا على أيديهم ، فإنّما هو لأمرين : أحدُهما التعبُّدُ ، وقد نعبدُ الله بتعظيم الوالدين ، وإن كانا شَيْطانين ، وتعظيم منْ هو أَسَنُّ منّا ، وإن كنّا أفضلَ مِنْه . والآخَر ، لأنّ النفس ما لم تحصِّل الأمورَ وتميِّز المعانى[5] ، فالسابق إليها حبٌّ من جَرَى لها على يده خيرٌ ، وإن كان لم يُرِدْها ، ولم يقصِد إليها .

ووجدنا عطيَّةَ الرجل لصاحبه لا تخلو أن تكون لله ، أو لغير الله . فإن كانت لله ، فثوابُه على الله . وكيف يجب علىّ فى حجّة العقل شكرهُ ، وهو لو صادف ابنَ سبيلٍ غيرى لما حَمَلَنى[6] ولا أعطانى ؟ ـ وإمّا أن يكون إعطاؤه إيّاى للذِّكْر . فإذا كان الأمرُ كذلك ، فإنّما جعلنى سُلَّما إلى تجارته ، وسببا إلى بُغْيته ؛ أو يكونَ إعطاؤه إيّاى من طريق الرحمة والرِقّة ، ولما يجد فى فؤاده من

---

(١) لا يصور الحقائق تصويرا صادقا .
(٢) أى سبب اللؤم .
(٣) تراود (بالبناء للمجهول) : تطلب . والمعنى : حتى يطلب بها ذات الأخذ لا ما ينتظر منه من فائده .
(٤) أى قصد ما ذكر .
(٥) أى تدركها .
(٦) اركبنى على مطية .

الغُصّة والألم . فإن كان لذلك أعطَى ، فإنّما داوَى نفسَه من دائه . وكان كالذى رفّه من خِناقه[1] . وإن كان إنّما أعطانى على طلب المجازاة وحبِّ المكافأة . فأمرُ هذا معروفٌ . وإن كان إنّما أعطانى من خوف يدِى أو لسانى ، أو اجْتِرارِ مَعُونتى ونُصْرَتى . فسبيلُه سبيلُ جميعِ ما وصفنا وفَصَّلْنا .

فلاسم الجودِ موضعان :

أحدهما حقيقة ، والآخر مجاز . فالحقيقةُ ما كان من الله . والمجازُ المشتقُّ له من هذا الاسم . وما كان لله كان ممدُوحاً ، وكان لله بطاعة . فإذا لم تكن العطيّة من الله ولا الله . فليس يجوز هذا فيما سَمَّوْه جُودا ، فما ظنّك بما سَمَّوه سَرَفا ؟

أفهم ما أنا مُوردُه عليك ، وواصفُه لك : إنّ التربُّحَ[2] والتكسُّبَ والاستِكال[3] بالخديعة والطُّعَم[4] الخبيثةَ فاشيةٌ غالبة ، ومستفِيضةٌ ظاهرة . على أنّ كثيراً ممن يضافُ اليومَ إلى النزاهة والتكرّم ، وإلى الصيانة والتوقّى ، لَيَأخذُ من ذلك بنصيب وافر ، وبمُدّ وافٍ[5] . فما ظنُّك بدَهْماءِ الناس وجُمهورهم ؟ بل ما ظنُّك بالشعراء والخطباء الذين إنّما تعلّموا المنطق لصناعة التكسّب ؟ وهؤلاء قومٌ بودّهم أنّ أربابَ الأموال قد جاوزوا حدّ السلامة إلى الغفلة ، حتى لا يكون للأموال حارسٌ ، ولا دونَها مانع .

فاحذَرْهم ، ولا تنظر إلى بِزَّة أحدهم ، فإن المسكينَ أقنعُ منه . ولا تنظر إلى موْكِبه ، فإنّ السائلَ أعفُّ منه . واعلم أنّه فى مَسْك[6] مِسكين ، وإن كان فى ثيابِ جواد ، ورُوحَه رُوحُ نَذْلٍ ، وإن كان فى جِرْم مَلِك . وكلُّهم ، وإن اختلفت وجوه مسألتهم ، واختلفت أقدار مطالبهم ، فهو مِسكين . إلّا أنّ واحداً يطلب العَلِقَ[7] ، وآخرَ يطلُب الخِرَق ، وآخرَ يطلب الدوانيق ، وآخرَ يطلُبُ الألوفَ . فجهةُ هذا هى جهةُ هذا ، وطُعْمةُ هذا هى طُعْمةُ هذا . وإنّما يختلفون فى أقدار ما يطلبون ، على قدر الحِذْق والسببِ . فاحذَر رُقاهم[8] وما نَصَبُوا لك من الشَّرَك ، واحرُس نعمتك وما دسّوا لها من الدواهى . واعمل على أنّ سحرَهم يسترِقُ الذهنَ ،

(١) متفرعا من جود الله على يد مخلوق .
(٢) مثل التكسب .
(٣) أكل أموال الضعفاء .
(٤) جمع طعمه . وهى المأكلة .
(٥) المد : مكيال . والمراد هنا أى مقدار
(٦) جلد .
(٧) القيس .
(٨) أى حيلهم .

ويختطف البصرَ . قال رسول الله ﷺ : « **إنّ من البيان لسحراً** » . وسمع عمرُ بنُ عبد العزيز رجلا يتكلّم فى حاجة فقال : هذا واللهِ السحرُ الحلالُ . وقد قال رسولُ الله ﷺ : « **لا خِلابةَ** » ـ واحذَر احتمالَ مديحهم ، فإنّ محتمِلَ المديح فى وجهه ، كمادِح نفسه .

إنّ مالَك لا يَسعُ مُريديه ، ولا يبلُغ رضا طالبيه . ولو أرضيتهم بإسخاط مِثْلهم ، لكان ذلك خُسرانا مبينا . فكيف وَمَنْ يسخَط أضعافُ مَنْ يرضَى ؟ وهجاءُ الساخط أضرُّ من فَقْد مديح الراضى . وعلى أنّهم إذا اعتَوَروك[1] بمشاقِصهم[2] ، وتداولُوك بسهامهم ، لم تر ممّن أرضيتَه بإسخاطهم أحداً يناضِل عنك ، ولا يُهاجِى شاعراً دونك . بل يخلِّيك غَرَضاً لسهامهم ، ودَرِيئةً[3] لِنبالهم . ثم يقول : وماكان عليه لو أرضاهم ! فكيف يُرضيهم ورضا الجميع شىءٌ لا يُنال ؟ وقد قال الأوّل : وكيف يتّفق رضا المختلِفين ؟ وقالوا : مَنْعُ الجميع أرْضَى للجميع .

إنّى أحذِّرك مَصارِعَ المخدُوعين ، وأرفعُك عن مضاجع المغبونين . إنّك [لستَ] كمن لم يزل يقاسى تعذُّرَ الأمور ، ويتجرّعُ مرارة العيش ، ويتحمّل ثِقَل الكَدّ ، ويشرَب بكأس الذُّلِّ ، حتّى كان يمرُنُ على ذلك جِلْدُه ، ويسْكُنُ عليه قلبُه . وفقرُ مثلك مضاعَفُ الألَم ، وجزَع مَن لم يعرف الألَم أشدُّ . ومَنْ لم يزل فقيراً فهو لا يعرف الشامتين ، ولا يدخله المكروه من سرور الحاسدين ، ولا يُلام على فقره ولا يصيرُ موعظةً لغيره وحديثا يبقَى ذِكْرُه ، ويلعَنُه بعد المات وُلْدُه .

ودعنى من حكايات المستأكِلين ، ورُقَى الخادعين ؛ فما زال الناسُ يحفظون أموالَهم من مواقع السَّرَف ، ويخبِّئونها من وجوهَ التبذير . ودعْنى ممّا لا نراه إلّا فى الأشعار المتكلَّفة ، والأخبارِ المولَّدة ، والكتبِ الموضوعة . فقد قال بعضُ أهل زماننا : ذهبت المكارِمُ إلّا من الكتب !

فخذ فيمَا تعلم ، ودَعْ نفسَك ممّا لا تعلم . هل رأيت أحداً قطُّ أنفق ماله على قوم وكان غناهم سببَ فقره ، أنّه سلَّم عليهم حين افتقر ، (فردّوا عليه) ـ فضلاً على غير ذلك[4] ؟ أوَلستَ قد رأيتَهم بين مُحمِّق[5] ، ومحتجِبٍ عنه ، وبين من يقول : فهلاّ أنزل[6] حاجتَه بفلان الذى كان يُفَضِّلُه ويُقدِّمه ويُؤْثِره ويَخُصُّه ؟ ـ ثم لعلّ بعضَهم أن يتجنَّى عليه ذنوبا ، ليجعلَها

---

(١) اصابوك .
(٢) بنصالهم .
(٣) هدفاً .
(٤) أى فضلاً عن الإيذاء والتشنيع .
(٥) واصف له بالحمق .
(٦) أى طلبها .

عذراً فى منعه ، وسبباً إلى حِرْمانه . قال الله جلّ ذِكرُه : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ . خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ . وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ** ﴾[1] .

فأنا القائمُ عليك بالموعظة والزّجْر ، والأمر والنهى ، وأنت سالمُ العقل والعِرْض ، وافُر المال ، حَسَنُ الحال . فاتَّقِ أن أقومَ غداً على رأسك بالتقريع والتعيير ، والتوبيخ والتأنيب ، وأنت عليلُ القلب ، مُخْتَلُّ العِرْض[2] ، عديمُ من المال ، سيِّىء الحال .

ليس جُهْدُ البلاء[3] مدَّ الأعناق ، وانتظارَ وَقْع السيوف ، لأنّ الوقت[4] قصيرٌ ، والحسَّ مغمور[5] . ولكنَّ جُهْدَ البلاءِ أن تَظهرَ الخَلَّةُ[6] ، وتطولَ المدّة ، وتعجزَ الحيلة ، ثم لا تَعْدَمَ صديقاً مؤنِّباً ، وابنَ عمٍّ شامِتا ، وجاراً حاسِراً ، ووليّا قد تحوَّل عدوّا ، وزوجةً مُخْتَلِعة[7] ، وجاريةً مُستبيعة[8] ، وعبداً يحقِرُك ، وولداً ينتهرك .

فانظر اين موقع فَوْتِ الثناء ، من موقع ما عَدَدْنا عليك من البلاء ؟ على أنّ الثناء طُعَمٌ ، ولعلّك ألّا تُطْعَمه ، والحمدَ أرزَاق ، ولعلّك ألّا تُحرمَه .

وما يَضيعُ من إحسانِ الناس أكثرُ[9] وعلى أنّ الحِفْظَ[10] قد ذهب بموت أهله . ألاَ ترَى أنّ الشِّعْر لمّا كسدَ أُفْحِمَ أهلُه ، ولمّا دخل النقصُ على كلّ شىء أخذ الشِّعْرُ منه بنصيبه ، ولمّا تحوّلت الدولةُ فى العجم[11] ـ والعَجَمُ لا تحوط الأنسابَ ، ولا تحفَظُ المقاماتِ ـ لأنّ من كان فى الرِّيف والكفاية ، وكان مغموراً بِسُكْرِ الغِنَى ، كثُرَ نسيانه ، وقلَّت خواطره[12] ومن احتاج تحرّكت همّتُه ، وكثُرَ تنقيره .

---

(١) سورة القلم : ٤٢ ـ ٤٣ .
(٢) أى يناله أعداؤه بالذم .
(٣) وقت انتظار السيوف .
(٤) مستور . والمراد متبلد من هول الموقف .
(٦) الحاجة .
(٧) من الخلع ، وهو الطلاق مقابل مال من الزوجة .
(٨) طالبة البيع .
(٩) الإحسان إلى الناس ، لأنه ينسى ويجحد .
(١٠) حفظ الذكر الحسن .
(١١) جواب لما محذوف ، أى زاد كساد الظفر .
(١٢) أى أن الحكام العجم اتخذوا البلاد الخصبة وفيرة الخيرات فلم يحتاجوا الى التسمى بالأنساب .

وعَيْبُ الغِنَى أنّه يورِّث البلادةَ ، وفضيلة الفقر أنّه يبعث الفِكْر . وإنْ أنت صحبت الغنى بإهمال النفس ، أسكرك الغنى . وسُكْرُ الغِنَى سِنَّةُ المستأكَلين ، وتُهَمَة الخدّاعين . وإن كنتَ لا ترضى بحظِّ النائم ، وبعيش البهائم ، وأحببتَ أن تجمعَ مع تمام نفس المثرِى ، ومع عزِّ الغِنَى وسرور القدرة ، فِطنةَ المُخِفِّ ، وخواطرَ المُقِلِّ ، ومعرفةَ الهارب ، واستدلالَ الطالب ـ اقتصدت فى الإنفاق ، وكنت مُعِدًّا للحَدَثان ، ومحترِساً من كلّ خِداع .

لستَ تبلُغُ حِيَلَ لصوص النهار ، وحِيلَ سرّاق الليل ، وحِيلَ طُرّاق البُلْدان ، وحِيلَ أصحاب الكِيمياء ، وحيلَ التُّجّارِ فى الأسواق ، والصنّاع فى جميع الصناعات ، وحيلَ أصحاب الحروب ، وحِيلَ المستأكِلين المتكسّبين .

ولو جمعتَ الخُبْرَ[1] والسِّحْرَ والتمائم والسُّمَّ ، لكانت حِيلُهم فى الناس أشدَّ تغلغلا ، وأعْرَضَ[2] ، وأسرَى فى عُمق البدن ، وأدخلَ إلى سُوَيداء القلب ، وإلى أمِّ الدِّماغ ، وإلى صَميمِ الكبدِ .

ولهى أدقُّ مَسْلَكا ، وأبعدُ غايةً من العِرْق[3] السارى ، والشَّبَهِ[4] النازع ، ولو[5] اتّخذتَ الحيطانَ الرفيعة الشخينة ، والأقفالَ المحْكَمَةَ الوثيقَة ؛ ولو اتّخذتَ المَارِقَ[6] والجَواسِق[7] ، والأبوابَ الشِّدادَ ، والحَرَس المتناوبين بأغلظ المُؤَنِ ، وأشدِّ الكُلَفِ[8] ، وتركتَ التقدّمَ فيما هو أحْضَرُ ضرراً وأدْومُ شراً[9] ، ولا غُرْم عليك فى الحراسة فيه ، ولا مَشَقَّةَ عليك فى التحفّظ منه .

إنّك إن فتحتَ لهم على نفسك مِثْلَ سَمِّ الخِياط جعلوا فيه طريقاً نَهْجاً ، ولُقِىَّ[10] رحباً . فأَحْكِمْ بابَك ، بل أدِمْ إصْفاقه ، فهو أولَى بك . بل إن قدَرْتَ على مُصْمَتٍ[11] (لا حيلةَ فيه ، فذلك أشبهُ بحزمك .

ولو جعلتَ البابَ مُبْهَماً والقُفْلَ مُصْمَتاً ، لتسوّروا عليك من فوقك ، ولو رفعتَ سَمْكه[12] إلى العَيُّوق[13] ، لنقَبوا عليك من تحتك . قال أبو الدَّرْداء : نِعْمَ صَوْمعةُ المؤمن بيتُه . وقال ابنُ سِيرين : العُزلةُ عبادةٌ .

---

(١) الخبرة والمعرفة .
(٢) المراد أعظم وأكبر .
(٣) المراد الجذر .
(٤) المراد شبه الابناء بآبائهم .
(٥) أى أن المتصفين بالصفات السابقة .
(٦) جمع مرق . وهو الذى يمرق منه المتخفى .
(٧) الحصون .
(٨) أى أن الحرس مزدودون بالعدد وما يتكلف للدفاع .
(٩) ما ضرره حاضر وشره دائم وهو حيل أولئك المستأكلين
(١٠) بضم اللام : مكان اللقاء .
(١١) القفل الذى لا يعرف فتحه إلا صاحبه . وكذلك المبهم
(١٢) طوله .
(١٣) نجم .

وحلاوةُ حديثهم[1] تدعو إلى الاستكثار منهم . وتدعو إلى إحضار غرائب شهواتهم[2] . فمن ذلك قولُ بعضهم لبعض أصحابه : كُلْ رِخْلَةً[3] ، واشرَب مِشْعلا[4] ، ثم تَجَشَّأ واحدةً ، لو أنّ عليها رحىً لطَحنتْ[5] !

ومن ذلك قولُ الآخَر ، حين دخل على قوم وهم يشربون ، وعندهم قِيانٌ ، فقالوا : اقترحْ أيَّ صوتٍ شئتَ ، قال : أَقترحُ نَشِيشَ[6] مِقْلًى !

ومن ذلك قولُ المَدِينىّ : من تصبَّح بسبع مَوْزات ، وبقدَحٍ من لبن الأَوارِكِ[7] ، تجشَّأ بَخُورَ الكعبة .

ومن ذلك قولُهم لبعض هؤلاء وقدّامَهم خَبِيصٌ[8] : أيُّها أطيب ؟ هذا أو الفَالُوذَج[9] ؟ قال : لا أقضِى على غائب .

ومنْ ذلك كلامُ الجارُودِ بن أبى سَبْرة ، لِبلالِ بن أبى بُرْدةَ ، حين قال له : صِفْ لى عبدَ الأعلَى وطعامه . قال : يأتيه الخبّازُ فيمثُل بين يديه ، فيقولُ : ما عندك ؟ فيقول : عندى جَدْىٌ كذا ، وعَناقٌ[10] كذا ، وبطّةٌ كذا ـ حتى يأتىَ على جميع ما عنده . قال : وما يدعوه إلى هذا ؟ قال : ليقتصرَ كلُّ امرىء فى الأكل ؛ حتى إذا أتىَ بالذى يشتهِى ، بلغ منه حاجتَهُ . قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم يُؤْتَى بالمائدة فيتضايقون[11] ؛ حتى يُخَوَّى تخويةَ الظَلِيم[12] . فَيجِدُّون[13] ويهزِل[14] حتى إذا فتَروا أكل أكْلَ الجائع المَقْرور[15] .

وقال آخرُ : أشتهِى ثريدةً دَكْناءَ[16] من الفُلْفُل ، ورَقْطاءَ[17] من الحِمَّص ، ذاتَ حفافيْن[18] من اللحم ، لها جناحان من العُراق[19] . أضْرِب فيها ضَرْبَ اليتيم عندَ وصِىّ السُّوء ! (أو أضرب فيها كما يضرب ولى السوء فى مال اليتيم) .

---

(١) المستأكلين والمتكسبين .
(٢) مشهياتهم . أى تقديمها لهم .
(٣) إبنة النعجة .
(٤) وعاء للنبيذ .
(٥) أى أن التجشئة الواحدة تدير رحاً لشدتها .
(٦) أى أنه يريد سماع صوت القلى لا الغناء .
(٧) الإبل .
(٨) نوع من الحلواء .
(٩) نوع آخر من الحلوى .
(١٠) إبنة المعز .
(١١) يضيقون أماكنهم حول المائدة .
(١٢) التخوية : أن يجلس الإنسان مائلاً وبطنه بعيد عن الأرض . والظليم : ذكر النعام .
(١٣) فى الأكل .
(١٤) يظهر الأعراض عن الأكل .
(١٥) القر هو البرد . وهو يعين على الأكل .
(١٦) نميل للسواد .
(١٧) سوداء فيها نقط بيضاء .
(١٨) جانبين .
(١٩) عظم بلحمه .

وسئِل بعضُهم عن حُظوظ البُلْدان فى الطعام ، وما قُسِم لكلّ قوم منه ، فقال : ذهبت الرومُ بالجُشَم[1] والحَشْو ، وذهبت فارسُ بالبارد والحُلو . وقال عُمر : لفارسٍ الشُّفارِجُ[2] والحُموض[3] . فقال دَوْسَرُ المَدِينى : لنا الهَرائسُ[4] والقَلَايا[5] ، ولأهل البَدْوِ اللَّبَأ والسِّلاءُ[6] ، والجرادُ والكَمْأَة[7] ، والخُبْزة فى الرائب ، والتمرُ بالزُّبْد .

وقد قال الشاعر :

ألاَ ليتَ خُبْزاً قد تَسَرْبل رائباً وخيلاً من البَرْنىّ[8] فُرْسانُها الزُّبْدُ

ولهم البُرْمةُ[9] والخُلاصةُ[10] والحَيْس[11] والوطِيئة[12] .

وقال أعرابىّ : أتِينا بِبُرٍّ كأفواه البُعْران[13] ، فخبزنا منه خُبْزَةَ زيتٍ فى النار ، فجعل الجَمْر يتحدّر عنها تحدُّرَ الحشْو عن البِطان[14] . ثم ثَرَدْناها ، فجعل الثريدُ يحول فى الإهالة[15] جَوَلان الضِّبْعان[16] فى الضَّفِرَةِ[17] . ثم أتينا بتمر كأعيان الورلان[18] ، يَوْحَل فيه الضرْس .

ونُعِت السَّوِيق[19] بأنّه من عُدَدِ المسافر ، وطعامُ العَجْلان ، وغِذاءُ المُبَكِّر ، وبُلْغَةُ المريض . يشدُّ فؤادَ الحزين ، ويُردُّ من نَفْس المحدود[20] . وحيدٌ فى السمين ، ومنعوتٌ فى الطيِّب . قَفَارهُ[21] يحلو البلغم ، ومَسْمُونه يصَفِّى الدم ، إن شئتَ كان ثريداً ، وإن شئتَ كان خَبيصاً[22] ، وإن شئتَ كان طعاماً ، وإن شئتَ كان شراباً .

وقيل لبعض هؤلاء اللّعامِظةِ[23] والمستأكِلين والسفّافين المقفَّعين[24] ، ورُئِىَ سمينا : ما أسمنَكَ ؟ قال : أكلى الحارّ ، وشربى القارّ[25] ، والاّتكاءُ على شمالى ، وأكلى من غير مالى .

---

(١) الجوفى .
(٢) أطباق يوضع فيها الكالح (السلطة) .
(٣) المملحات المشهيات .
(٤) جمع هريسة . تصنع من الحب المدقوق واللحم .
(٥) مرق لحوم الابل .
(٦) السمن المصفى .
(٧) بنات كالفطر .
(٨) نوع جيد من التمر .
(٩) قدر من حجارة .
(١٠) التمر والدقيق فى السمن .
(١١) تمر بلبن مخيض وسمن .
(١٢) تمر يفصل منه النوى ويعجن بلبن .
(١٣) جمع بعير .
(١٤) حزام البعير . إذا شد على بطنه تحدر عنه حشو البطن .
(١٥) الشحم المذاب .
(١٦) الضبع .
(١٧) ما تجمع من الرمل .
(١٨) جمع ورل : حيوان زاحف .
(١٩) طعام من قمح وشعير .
(٢٠) المحروم .
(٢١) القفار : الخبز بلا أدام والمراد هنا أنه بلا سمن .
(٢٢) ما فيه من سمن .
(٢٣) جمع لعمظ وهو النهم .
(٢٤) المقفع : المنكس الرأس دائماً .
(٢٥) البارد .

وقد قال الشاعر :

وإنّ امتلاء البطن فى حَسَبِ الفتى قليلُ الغَنَاء وهو فى الجسم صالحُ[1]

وقيل لآخر : ما أسْمَنَك ؟ قال : قلّةُ الفِكرة ، وطولُ الدَّعة ، والنومُ على الكِظَّة .

وقال الحجّاجُ للغضبانِ بن القَبَعْثرى : ما أسْمَنَك ؟ قال : القيدُ والرَّتْعة[2] . ومن كان فى ضيافة الأمير سَمِن .

وقيل لآخَرَ : إنّك لحَسَنُ السِّمْنة . قال : آكُلُ لُباب البُرّ ، وصِغارَ المَعْز ، وأدَّهِنُ بِخَامِ البَنَفْسَج ، وألبَس الكَتّان .

واللهِ لو كان مَنْ يُسْأَل يُعطى ، لما قام[3] كرمُ العطيَّة بلؤم المسألة . ومدَارُ الصواب على طِيب المَكْسِبَة[4] ، والاقتصادِ فى النفقة . وقد قال بعضُ العرب : اللّهم إنى أعوذ بك من بعضِ الرزق ، حين رأى نافجَةً[5] من ماله من صَداق أمّه .

وأىُّ سائل كان ألحفَ مسألةً من الحُطَيْئةِ والأَمَ ؟ ومَنْ الأَمُ من جَرِيرِ بنِ الخَطَفَى وأبْخلُ ؟ ومَنْ أمنعُ من كُثَيِّرٍ ؟ وأشَحُّ من ابن هَرْمة ؟ ومنْ كان يَشُقُّ غُبَارَ ابن أبى حَفْصَةَ ؟ ومَنْ كان يصْطَلى بنار أبى العتاهية ؟ ومَنْ كابى نُواسٍ فى بخله ؟ أو كان كأبى يعقوبَ الخُرَيمىّ فى دِقّة نظره وكَثْرة كسْبه ؟ ومن كان أكثرَ نَحْراً لجَزَرَةٍ[6] لم تُخلَق[7] من ابن هَرْمةَ ، واطعنَ برُمْحٍ لم ينبُت ، وأطعمَ لطعامٍ لم يُزْرَع من الخُرَيْمى ؟ فأين أنت عن ابنِ يسير ؟ وأين تذهبُ عن ابن أبى كَرِيمَةَ ؟ ولِمَ تَقْصُر فى ذكر الرَّقَاشىِّ ، ولم تذكر سِرَّه ؟[8] .

إنّ الأعرابىّ شرٌّ من الحاضر[9] ، سائلُ جبّار ، وثّابةُ[10] ملاَّق ؛ إن مدَح كذَب ، وإن هجا كذب ، وإن سَبَّ كذب ، وإن طمِع كذب . لا يقربه إلّا نَطِف[11] أو أحمق ، ولا يعطيه إلا من يُحبّه ، ولا يحبّه إلّا من هو فى طباعه .

ما أبطأكم عن البذل فى الحقّ ! وأسرَعَكم إلى البذل فى الباطل ! فإن كنتم الشعراء تُفضّلون ، وإلى قولهم ترجعون ، فقد قال الشاعر :

قليلُ المالِ تُصلحه فَيَبْقَى ولا يَبْقَى الكثيرُ على الفساد

---

(١) كثرة الأكل تفيد الجسم ولكنها لا ترفع شأن الفتى
(٢) السعة .
(٣) المراد : لما أزال .
(٤) الكسب .
(٥) المراد : زيادة .
(٦) شاة سمينة .
(٧) أى من خياله .
(٨) أى سر بخله .
(٩) الحضرى .
(١٠) إلى انتهاز الفرص .
(١١) منهم .

وقد قال الشمّاخُ بنُ ضِرَار :

لَمَالُ المَرْءِ يُصلحهُ فيُغنِى ... مَفَاقِرَه[1] أعفُّ من القُنوع[2]

وقال أُحَيْحَةُ بن الجُلاح :

استغنِ أو مُتْ ولا يغرُرْك ذو نشَبٍ ... من ابن عمّ ولا عمّ ولا خال
إنى أكِبُّ على الزَّوْراءِ[3] أَعْمُرُها ... إنّ الكريمَ على الأقوامِ ذو المالِ

وقال أيضاً :

استغنِ عن كل ذى قُرْبى وذى رَحِمٍ ... إنّ الغَنِيَّ من استغنَى عن الناس
والبسْ عدوَّك فى رِفق وفى دَعَةٍ ... لِباسَ ذى إرْبةٍ للدهر لبّاس
ولا يَغُرَّنْك أضغانٌ مُزَمَّلَةٌ ... قد يُضْرب الدَّبِرُ الدامى بأحْلاس[4]

وقال سهلُ بن هارون :

إذا امرؤٌ ضاق عنّى لم يضِق خُلُقى ... من أن يرانى غنيّا عنه باليأسِ
فلا يرانى إذا لم يرع آصرتى ... مُستمرِيا[5] دِرَراً[6] منه بإبْساس[7]
لا أطلبُ المال كىْ أَغنَى بفَضْلته ... ما كان[8] مطلبهُ فقرا إلى الناس

وقال أبو العتاهية :

أنت ما استغيتَ عن صا ... حِبِك الدهرَ أخوه
فإذا احتجت إليه ... ساعةً مَجَّك فوه

وقال أُحَيْحَةُ بنُ الجُلاح :

فلو أنّى أشاء نِعمت بالاً ... وباكَرَنى صَبُوحٌ[9] أو نشيلُ[10]
ولا عَبَنِى على الأنماطِ[11] لُعْسٌ[12] ... على أنيابهنّ الزنجبيلُ

---

(١) المفاقر : جمع فقر . (٢) السؤال . (٣) أرض للشاعر .
(٤) مزملة : مغطاة ، والدبر : البعير المقروح ، والأحلاس جمع حلس وهو الذى يوضع على الجرح تحت الرحل . أى أن من يخفى حقده يؤذى كما يؤذى البعير الذى يغطى جرحه .
(٥) مستدراً . (٩) اللبن المخلوب فى الغداة .
(٦) جمع درة (بالكسر) وهى اللبن . (١٠) اللحم المطبوخ بغير توابل .
(٧) الابساس : دعوة الناقة إلى الحلب بلطف . (١١) جمع نمط : نوع من البسط .
(٨) مادام . (١٢) جمع لعساء : المرأة التى يميل لون شفتها إلى السواد قليلاً .

ولكنّى خُلِقْتُ إزاء مالٍ[1] فأبْخَلُ بعد ذلك أو أنيلُ

وقال آخر :

أبا مُصلِحٍ أصلحْ ولاتك مُفسداً فإن صلاح المال خيرٌ من الفقر
ألم تَـرَ أنّ المرء يزداد عزّةً على قومه أن يعلموا أنّه مُثْرِى ؟

وقال عُرْوةُ بنُ الوَرْد :

ذَرِينى للغنى أسْعَى فإنّى رأيتُ الناسَ شرُّهم الفقيرُ
وأبعدُهم وأهونُهم عليهم وإن أمسى له نَسَبٌ وخيرُ[2]
ويُقْصَى فى النَّدِىِّ وتزدريه حَليلتُهُ وينهَرُه الصغيرُ
وتلقَى ذا الغِنَى وله جَلالٌ يَكادُ فؤادُ صاحِبه يطيرُ
قليلٌ ذنبُه والذنبُ جَمٌّ ولكنّ الغِنَى ربٌّ غفورُ

وقال سعيدُ بنُ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْل :

تلك عِرْسايَ تَنْطِقان على عَمْـ ـدٍ لِىَ اليومَ قولَ زُورٍ وهَتْرِ[3]
سالَتانِى الطلاقَ أن رأتا ما لى قليلاً ـ قد جئتانى بُنكْرِ
فلَعَلّى أنْ يكثُرَ المالُ عندى ويُعَرَّى من المَغارِمِ ظَهْرِى
وَيُرَى أعْبُدٌ لنا وأواقٍ[4] ومناصيفُ[5] من خوادمَ عَشْرِ
وَتُجَرُّ[6] الأذيالُ فى نعمةٍ زَوْ لٍ[7] . تقولان : ضَعْ عَصاك لدهرِ[8]
وَىْ[9] كأنْ منْ يكنْ له نَشَبٌ يُحْـ ـبَبْ . ومَنْ يفتقرْ يعشْ عيشَ ضُرِّ
ويُجَنَّبْ سِرَ النَّجِىِّ[10] ولكنّ أخا الفقر مُحْضَرُ كلَّ شرِّ

وقال الآخر :

وللمال منّى جانبٌ لا أضيعه وللهو منّى والبَطالةِ جانبُ

---

(١) حافظة .
(٢) كرم وشرف .
(٣) تمزيق عرض .
(٤) جمع واقية . والمراد الخادمة .
(٥) خادمات .
(٦) بالبناء للمجهول .
(٧) حسنه .
(٨) أى استرح ولا تكدح .
(٩) أتعجب .
(١٠) المناجى .

وقال الأَخْنسُ بنُ شِهاب :

وقد عشتُ دهراً والغُواةُ صَحابتى ... أولئك إخوانى الذين أصاحبُ
فأدّيتُ عنّى ما استعرتُ من الصِّبا[1] ... وللمالِ منّى اليومَ راعٍ وكاسب[2]

وقال ابنُ أذَيْنة الثَّقَفىُّ :

أطعتُ العِرْس فى الشهوات حتى ... أعادتنى عَسِيفاً[3] عبدَ عبدِ
إذا ما جئتُها قد بعتُ عِتْقاً[4] ... تُعانِق أو تُقَبِّلُ أو تُفَدِّى
فمن وجد الغِنَى فليصطَنِعْهُ ... ذخيرتَه ويَجْهَدْ كلَّ جَهْدِ

وقال :

منْ يجمعِ المالَ ولا يُثَبِّهِ ... ويترِك العامَ لعامِ جَدْبِهِ[5]
* يَهُنْ على الناس هوانَ كلبه *

وقد قيل فى المثل : الكَدُّ قبل المدّ[6] ، وقال لَقِيط : الغزو أدرٌ لِلُّقاح[7] ، وأَحَدّ للسلاح .

وقال أبو المعافَى :

وإنّ التوانى[8] أنكح العجزَ بِنْتَه ... وساق إليها حين زَوَّجَها مهْراً
فِراشاً وطيئاً ، ثم قال لها : اتّكِى ... فَقَصرُكما - لا بُدّ - أن تلدا الفقرا

وقال عثمان بن أبى العاص : ساعةٌ لدنياك ، وساعةٌ لآخرتك . وقال رسول الله ﷺ : « **أنهاكم عن قيلَ وقالَ ، وكثرة السؤال ، وإضاعةِ المال** » . وقال : « **خَيْرُ الصَّدَقةِ ما أبقى غِنىً ، واليدُ العُلْيَا خيرٌ من اليد السفْلى ، وابدأ بمن تعول** » وقال النبى ﷺ : « **الثُّلُثَ . والثُّلُثُ كثيرٌ ؛ إنّك إنْ تَدَعْ ولَدَك أغنياءَ ، خَيْرٌ من أن يتكفَّفُوا الناس** » . وقال ابنُ عبّاس : ودِدْتُ أنّ الناس غضّوا[9] من الثُّلُث شيئاً ، لقول النبىّ ﷺ : « **الثُّلُثَ . والثُّلُثُ كثير** » . وقال النبىّ ﷺ : « **كفى بالمرء إثْماً أن يُضيعَ من يَقُوتُ** » .

---

(١) أى أديت الحقوق التى ألهانى عنها الصبا .
(٢) الزوجة .
(٣) أجيراً .
(٤) حريه .
(٥) أى يعد فى عام الخصب لعام الجدب .
(٦) البسط .
(٧) جمع لقوح : الناقة الحلوب ، والمراد ما ينتجه الغزو من غنائم .
(٨) معنى البيتين : أن التوانى زوج العجز منته ودفع هو المهر فراشا تستريح عليه ولا تعمل شيئا ، وغاية ذلك أن تلدا الفقر .
(٩) نقصوا .

وأنتم تَرَوْن أنّ المجدَ والكرَمَ أنْ أُفقِرَ نفسى بإغناء غيرى ، وأنْ أُحْوط عيالَ غيرى بإضاعة عيالى !

وقال فى ذلك ابنُ هَرْمَةَ :

كتاركةٍ بيضَها بالعَراءِ ومُلْبِسَةٍ بيضَ أخرَى جَناحا

وقال آخر :

كمفسدِ أدناهُ[1] ومصلحِ غيرِهِ ولم يأتَمِرْ فى ذاك أمرَ صلاح

وقال الآخر :

كمرضعةٍ أولادَ أخرَى وضَيَّعتْ بنيها ولم ترْفَعْ بذلك مَرْقَما

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ** ﴾ . وقال : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ، قُلِ الْعَفْوَ** ﴾ . فأَذِن فى العفْوِ[2] ولم يأذَنْ فى الجَهْد ، وأَذِن فى الفُضُول ولم يأذَن فى الأصول .

وأراد كعبُ بن مالِكٍ أن يتصدّق بماله . فقال له النبىّ ﷺ : « **أَمْسِكْ عليكَ مالك** » . فالنبىُّ ﷺ يمنعهُ من إخراج مالِهِ فى الصدقة ، وأنتم تأمرونه بإخراجه فى السَّرف والتبذير !

وخرَجَ غَيْلانُ بنُ سَلَمةَ من جميع ماله ، فأكرهه عمرُ على الرجوع فيه ، وقال : لو مُتَّ لرجمتُ قَبرَك ، كما يُرْجم قَبرُ أبى رِغال[3] .

وقال الله جلّ وعزّ : ﴿ **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ . وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ** ﴾ وقال النبى ﷺ : يكفيكَ ما بَلَّغَكَ المحَلَّ . وقال : ما قلَّ وكفَى ، خيرٌ مما كثر وألْهَى . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ، وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً** ﴾ . وقال النبىّ ﷺ : إنّ المُنْبَتَّ لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى . وقال الله جلّ ذِكْرُه : ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً** ﴾ .

ولذلك قالوا : خيرُ مالِكَ ما نَفَعَكَ ، وخيرُ الأمورِ أواسطها ، وشرُّ السَّيْرِ الحَفْحَفَةُ[4] ، والحسنةُ بين السيئتين . وقالوا : دِينُ الله بين المصِّر والغالى[5] . وقالوا فى المثل : بينهما[6] الرامى

(١) الأقرب إليه .
(٢) الزائد على الحاجة .
(٣) سبب رجمه مذكور فى لسان العرب فى حكاية طويلة .
(٤) السير المجهد .
(٥) المبالغ .
(٦) أى بين التقصير والغلو .

الرامى . وقالوا : عليك بالسَداد والاقتصاد ، وله وَكْسَ ولا شَطاطَ . وقالوا : بين المُمِخَّةِ[1] والعَجْفَاء . وقالوا : لا تكُنْ حُلْواً فتُبتلعَ ، ولا مُرًّا فتُلْفَظَ . وقالوا فى المثل : ليس الرِّىُّ عن التَّشَافِّ[2] . وقالوا : يا عاقدُ اذكرْ حلًّا وقالوا : الرَّشْفُ[3] أنقعُ للظمآن . وقالوا : القليلُ الدائمُ أكثرُ من الكثير المنقطع . وقال أبو الدَّرْدَاءِ : إنّى لأستَجِمُّ نفسى ببعضِ الباطِلِ ، كراهةَ أن أُحمِلَ عليها من الحق ما يُمِلُّها .

وقال الشاعر :

وإنّى لحُلْوٌ تعترينى مرارةٌ وإنّى لصعبُ الرأس غير جَموحِ

وقالوا فى عَذْل المُصْلِح ولائِمِه المقتصدِ : الشحيحُ أعذرُ من الظالم[4] . وقالوا : ليس من العدل سرعةُ العذل . وقالوا : لعلّ له عذراً وأنت تلُوم . وقالوا : ربّ لائمٍ مُلِيم[5] . وقال الأحنف : ربّ مَلُوم لا ذنب له . وقال : إعطاءُ السائل تَضْرِيَةٌ[6] ، وإعطاءُ المُلْحِف مشاركَة[7] . وقال النبىّ ﷺ : « **لا تصلحُ المسألة[8] (إلاّ فى ثلاثٍ : فقرٍ مُدْقِع ، وغُرْمٍ مُفْظِع ، ودمٍ مُوجع[9])** » .

وقال الشاعر :

الحرُّ يُلْحَى والعصا للعبدِ وليس للمُلْحِفِ غيرُ الردِّ

وقالوا : إذا جدّ السؤال ، جدّ المنع . وقالوا : احذَرْ إعطاء المخدُوعين ، وبذْلَ المغبونين[10] ، فإنّ المغبونَ لا محمودٌ ولا مأجورٌ . ولذلك قالوا : لا تكن أدنى العَيْرَيْن إلى السهم[11] . (يقول : إذا أعطيتَ السائلينَ مالكَ ، صارت مقاتِلُكَ أظهرَ لأعدائك من مقاتلهم[12]) . وقالوا : الفِرارُ بِقِرابٍ أكْيَسُ[13] . وقال أبو الأسود : ليس من العزِّ أنْ تتعرّض للذلّ ، ولا من الكرم أنْ تستدعىَ اللؤم . ومَنْ أخرجَ ماله من يده افتقر ، ومن افتقر فلا بدّ له من أن يضرَع ، والضَّرَع لؤم . وإن كان الجودُ شقيقَ الكرم ، فالأنفة أوْلَى بالكرم . وقد قال الأوّل : اللهم لا تُنزلنى ماءَ

---

(١) السمينة .
(٢) شرب ما فى الإناء كله .
(٣) الشرب قليلاً . قليلاً .
(٤) أى عذره أقوى من عذر الظالم .
(٥) ملوم .
(٦) تعويد .
(٧) مشاركة له فى الإلحاف .
(٨) السؤال .
(٩) يوجب الديه .
(١٠) أى لا تعطِ وأنت مخدوع أو مغبون .
(١١) المراد بالعير . حمار الوحش . يشبه السائل والمسئولين بالعيرين .
(١٢) ما بين القوسين تفسير لما قبله .
(١٣) من يفر بقراب سيفه أكيس ممن يفقدهما معا .

سَوْءٍ ، فأكونَ آمراً سَوْءٍ .

وقد قال الشاعر :

واخطُ مع الدهر إذا ما خطا واجرِ مع الدهر كما يجرى

وقد قال الآخر :

ياليت لى نعلين من جِلْدِ الضَّبُعْ وَشُرُكاً[1] من ثَغْرِها لاتَنْقَطِعْ

* كلَّ الحِذاء يحتذِى الحافى الوَقِعْ[2] *

وقد صَدَق قول القائل : من احتاجَ اغتفر ، ومن اقتضى[3] تجوّز . وقيل لرَيْسيمُوس[4] : تأكلُ فى السوق ؟ قال : إن جاع (رَيْسيموسُ) فى السوق ، أكل فى السوق . وقال : من أجدَب انتجع ، ومن جاع جَشِع . وقال : احذرو نضار[5] النعمة ، فإنّها نَوَارُ[6] ، وليس كلُّ شارد بمردود ، ولا كل نادٍّ بمصروف[7] . وقال علىٌّ بنُ أبى طالب : قلَّما أدْبَرَ شىء فأقبل . وقالوا : رُبَّ أكْلَةٍ تمنع أكَلَات ، ورُبَّ عَجَلَةٍ تهَبُ رَيْثاً . وعابوا من قال : أكْلَةٌ ومَوْتَةٌ . وقالوا : لا تطلُبْ أثراً بعدَ عَيْنٍ . وقالوا : لا تكُن كمن تغلِبه نفسُهُ على ما بَطُنُّ ، ولا يغلِبُها على ما يَستيقِن . فانظرْ كيف تُخرِجُ الدِّرهَم ؟ ولِمَ تُخرِجُهُ ؟ . وقالوا : شرٌّ من المَرْزِئَةِ سُوءُ الخلَفَ .

وقال الشاعر :

إنْ يكنْ ما به أصِبْتَ جليلا فذهابُ العَزَاء فيه أجَلُّ

وَلأَنْ تفتقر بجائحةٍ نازلةٍ ، خيرٌ لك من أن تفتقر بجناية مُكْتَسِبةٍ . ومَنْ كان سبباً لذهاب وَفْرِه ، لم تعدمه الحسرةُ من نفسه ، واللائمةُ من غيره ، وقلّةُ الرحمة ، وكثرةُ الشماتة ، مع الإثم المُوبِقِ ، والهوانِ على الصاحب . وذَكَرَ عمرُ بنُ الخطّاب فِتيَانَ قريش ، وسَرَفَهم فى الإنفاق . ومسابقتَهم فى التبذير ، فقال : لَخُرْقة[8] أحدِهم أشدُّ علىَّ من عَيْلَته . (يقول : إنّ إغناء الفقيرِ ، أهْوَنُ

(١) جمع شراك . وهو سير النعل .
(٢) الذى حفى من مشيه على الحجارة . فهو يلبس أى حذاء .
(٣) تساهل ولم يتشدد .
(٤) أصله يونانى .
(٥) ليس المقصود قائلاً معيناً .
(٦) النوار : المرأة التى تنجب الريبة .
(٧) ند البعير : شرد . والمراد بالمصروف المرجوع عن شروده .
(٨) الخرقة هى الحمق وسوء التصرف .

علىّ من إصلاح الفاسد) .

ولا تَكُنْ على نفسك أشأَمَ من خَوْتَعَةَ ، وعلى أهلك أشأمَ من البَسُوس[1] ، وعلى قومِك أشأمَ من عِطْرِ مَنْشِم[2] . ومَنْ سلّطَ الشهواتِ على ماله ، وحَكّم الهوَى فى ذات يده ، فبقى حَسِيراً ، فلا يلومَنّ إلاّ نفسَه . وطُوبَى لك يوم تقدِر على قديمٍ تنتفع به .

وقال بعض الشعراء :

أرَى كلَّ قومٍ يمنعون حَريمَهُم ... وليس لأصحاب النبيذ حريمُ[3]
أخوهم[4] إذا ما دارت الكأسُ بينَهم ... وكُلُّهُمُ رَثُّ الوِصال[5] سئُومُ
فهذا بيانى ، لم أقُلْ بجهالةٍ ... ولكنّنى بالفاسقينَ عليمُ

وقد كان هذا المعنى فى أصحابِ النبيذ أوْجَدَ . فأمّا اليومَ فقد استوى الناسُ قال الأضبطُ بنُ قُرَيْعٍ ، لمّا انتقل فى القبائل فأساءوا جِوارَه ، بعد أن تأذّى ببنى سَعْد : بكلٍّ وإ بنو سعد .

خذ بقولى ، ودَعْ قول أبى العاصِ . وخذ بقول من قال : عشْ ولا تَغْتَرّ ؛ وبقول من قال : لا تَطْلُب أثَراً بعد عَيْن ؛ وبقول من قال : املأ حُبَّكَ من أوّل مَطْرَة ، ودَعْ ما يَرِيبك إلى مالا يَريبك . أخوك من صَدَقك ، ومن أتاك من جهة عقلك ، ولم يأتِك من جهة شهوتك . وأخوك من احتملَ ثِقَل نصيحتك فى حظِّك[6] ، ولم تأمن لائمتَه إيّاك فى غدك .

وقال الآخر :

إنّ أخاك الصِدْقَ من لَنْ يَخْدَعَكْ ... ومَنْ يَضِيرُ نفسَه لينفعَكْ

وقال عَبِيدُ بنُ الأبْرَص :

واعْلَمَنْ عِلْماً يقيناً أنّهُ ... ليس يُرْجَى لك من ليس معك

ولا تزالُ بخيرٍ ما كان لك واعظٌ من نفسك ، وعينٌ[7] من عقلك على طباعك ؛ أوْ ما كان لك أخٌ نصيح ، ووزيرٌ شفيق . والزوجةُ الصالحةُ عَوْنُ صِدْق . والسعيدُ من وُعِظَ بغيره . فإن

---

(١) كان خوتعة والبسوس سببا فى حروب دامية .
(٢) أمرأة كانت تبيع العطر ، وكانوا يتعطرون بعطرها عندما يهمون بالقتال .
(٣) الحريم ما يمنع ويحرم مسه .
(٤) أى أنت أخوهم .
(٥) لا وفاء ولا عهد له فى غير وقت الشراب .
(٦) أى فى سبيل منفعتك .
(٧) أى رقيب .

أنت لم تُرْزَق من هذه الخِصال خَصْلةً واحدة ، فلا بُدَّ لك من نكبة مُوجِعة ، يبقَى أثرها ، ويُلوح لك ذِكرُها . ولذلك قالوا : خيرُ مالِكَ ما نَفَعك . ولذلك قالوا : لم يذهب من مالِكَ ما وعظك .

إنّ المالَ محروصٌ عليه ، ومطلوبٌ فى قَعْرِ البحار ، وفى رءوسِ الجبال ، وفى دَغَل الغِياض[1] ، ومطلوبٌ فى الوُعورةِ ، كما يُطلَب فى السُّهولة . وسواء فيها بطونُ الأوديةِ ، وظهورُ الطُّرق ، ومشارقُ الأرضِ ومغاربُها . فطُلِبَتْ بالعزّ[2] ، وطُلِبَتْ بالذّل ، وطُلِبَتْ بالوفاء ، وطُلِبَتْ بالغَدر ، وطُلِبَتْ بالنُّسُك ، كما طَلِبَتْ بالفتك ، وطُلِبَتْ بالصدق ، كما طُلِبَتْ بالكذب ، وطُلِبَتْ بالبَذَاء ، وطُلِبَتْ بالمَلَق ـ فلم تُتْرَكْ فيها حيلةٌ ولا رُقْية ، حتى طُلِبَتْ بالكفر بالله ، كَمه طُلِبَتْ بالإيمان . وطُلِبَتْ بالسُّخْف ، كما طُلِبَتْ بالنُّبْل . فَقد نصبوا الفِخاخ بكلّ موضع ، ونصبوا الشَّرَك بكل رَبْع . وقد طلبك من لا يُقَصِّر دون الظَّفَر[3] . وحَسدَك من لا ينام دون الشِّفاء .

وقد يهدأ الطالب الطوائلِ[4] ، والمطلوبُ[5] بذاتِ نفسِهِ ، ولا يهدأ الحريص . يقال إنّه ليس فى الأرض بلدةٌ واسِطة[6] ، ولا بادية شاسعة ، وله طَرَف من الأطراف ، إلاّ وأنت واجد بها المدَنِيَّ والبَصْرِيَّ والحِيرِيَّ . وقد ترى شَنَفَ[7] الفقراء للأغنياء ، وتَسرُّعَ الرغبة إلى الملوك ، وبُغْضَ الماشى للراكب ، وعمومَ الحسد فى المتفاوتين .

وإنْ لم تستعملِ الحذَرَ ، وتأخذْ بنصيبك من المُدَارة ، وتتعلّم الحزمَ ، وتجالسْ أصحابَ الاقتصادِ ، وتعرفْ الدهورَ ـ ودهرَك خاصةً ـ ، وتُمثِّلْ لنفسَك الغِيَرَ[8] ، حتّى تتوهّمَ نفسَك فقيرا ضائعا ، وحتّى تتهمَ شِمالَك على يمينك ، وسمعَك على بصرك ، ولا يكونَ أحدٌ أتْهَمَ[9] عند نفسك من ثِقَتك ، ولا أوْلى بأخذ الحذر منه من أمِينك ـ اختُطِفْتَ[10] اختِطَافاً ، واستُلِبْتَ استلابا ، وذَوّبوا مالك وتحيّفوه[11] ، وألزموه السُّلَّ ولم يُداوُوه . وقد قالوا : يلى المال ربُّه ، وإن كان أحمق . فلا تكوننَّ دون ذلك الأحمق . وقالوا : لا تعدَم صَنَاعٌ ثَلَة[12] . فلا تكوننّ دونَ تلك الصّناع . وقد قال الأوّلُ فى المال المضيَّع المسلَّط عليه شهواتُ العيال : ليس لها راع ، ولكِنْ حَلَبَةٌ[13] .

---

(١) الدغل هو الشجر الكثير الملتف . والغياض : جمع غيضة : مجتمع الشجر .
(٢) الثروة أو الأموال .
(٣) أى حتى يظفر .
(٤) جمع طائلة . وهى الثأر .
(٥) بثأر .
(٦) متوسطة .
(٧) بغض .
(٨) تقلب الحوادث .
(٩) أكثر اتهاماً .
(١٠) جواب أن .
(١١) تنقصوه .
(١٢) الصناع : الحاذقة . والثلة : الصوف (الشلة) . والمعنى : أن الحاذق إذا عدم عملاً أخذ فى غيره .
(١٣) جمع حالب . أى تحلب ولكن لا أحد يرعاها .

وليس مالُك المالَ المُعْفَى من الأضراس ، فيقالَ فيه : مرعىً ولا أَكُولة[1] ، وعُشْبٌ ولا بعير . فقُصاراك مع الإصلاح أن يقومَ ببطنك وبحوائجك وبما ينوبُك . ولا بقاء للمال على قِلّةِ الرَّعْيِ ، وكثرةِ الحَلْب .

فَكِسّ[2] فى أَمرك ، وتقدّم فى حفظ مالِك ؛ فإنّ من حفِظَ ماله فقد حفظ الأكْرَمَيْن . والأكرمان : الدِينُ والعِرْض . وقد قيل : للرمْيِ يُراش السهم[3] ، وعند النِّطاح تَغْلِبُ القَرْناءُ .

وإذا رأَت العرب مستأكِلاً وافقَ غُمْراً[4] قالت : ليس عليكَ نَسْجُه[5] ، فاسحَبْ وخَرِّق . وقد قال رسول الله ﷺ : « **الناسُ كلُّهم سواءٌ كأسنان المُشْط ، والمرءُ كثيرٌ بأخيه** » . ولا خيرَ لك فى صُحبة من لا يرى لك مثلَ ما يرَى لنفسه . فتعرَّفْ شأنَ أصحابِك ، ومَعْنَى جلسائك . فإن كانوا فى هذه الصفة فاستعمل الحزم ، وإن كانوا فى خِلاف ذلك عمِلْت على حَسَبِ ذلك .

إنّى لست آمُرُك إلّا بما أَمَرَك به القرآن . ولست أوصيك إلّا بما أوصاك به الرسولُ . ولا أَعِظُك إلّا بما وَعَظ به الصالحون بعضُهم بعضاً . قال رسول الله ﷺ : « **اعْقِلها وتوكَّلْ**[6] » وقال مُطَرِّفُ بنُ الشخِّير : من نام تحت صَدَفٍ[7] مائل ، وهو ينوى التوكُّلَ ، فليرمِ بنفسه من طَارِ[8] ، وهو ينوى التوكّلَ ! فأين التوقِّى الذى أمر الله به ؟ وأين التغريرُ الذى نهى عنه ؟ ومن طمِع فى السلامةِ من غير تسلُّمٍ[9] ، فقد وضع الطمع فى موضع الأمانىِّ . وإنّما يُنجِزُ الله الطمعَ ، إذا كان فيما أمر به ، وإنّما يحقِّق من الأمل ، ماكان هو المسبّبَ له .

وفَرّ عُمَرُ من الطاعون ، فقال له أبو عُبَيْدة : أتفِرُّ من قَدَر الله ؟ قال نعم ، إلى قَدَر الله . وقيل له : هل ينفعُ الحَذَرُ من القَدَر ؟ فقال : لو كان الحذر لا ينفع ، لكان الأمرُ به لَغْواً .

فإبلاء العذر هو التوكّل[10] . وقال رسول الله ﷺ لرجل قال فى خصومةٍ : حَسْبِىَ اللهُ : أَبْلِ اللهَ عذراً ، فإذا أعجزك أمرٌ فقل : حَسْبِىَ اللهُ :

وقال الشاعر :

ومَنْ يكُ مثلى ذا عيال ومُقْتِراً من المال يطرَحْ نفسه كلَّ مَطْرَحِ
ليُبْلِىَ عذراً أو ليبلغَ حاجةً ومُبْلِغُ نفسٍ عذرَها مثلُ مُنْجِحِ

(١) شاة تسمن بالأكل .
(٢) تفطن .
(٣) يلصق عليه الريش .
(٤) لم يجرب الأمور (الخام) .
(٥) أى لم تتعب فيه .
(٦) مقصد .
(٧) الصدف هو الشىء المرتفع .
(٨) مكان مرتفع .
(٩) توق .
(١٠) أى عدم التقصير .

وقال الآخر :

فإن يكن القاضى قضَى غيرَ عادلٍ فبعد أمورٍ لا ألوم لها نفسِى

وقال زهير البابىّ : إن كان التوكُّلُ أن أكونَ متى أخرجتُ مالى أيقنْتُ بالخَلَف ، وجعلتُ الخَلَفَ مالاً يرجع فى كيسى ، ومتى مالم أحْفَظْه أيقنتُ بأنّه محفوظٌ ، فإنّى أشْهِدُكم أنّى لم أتوكّل قطّ . إنّما التوكُّل أن تعلم أنّك متى أخذتَ بأدَب الله أنّك تتقلّبُ فى الخَيرِ ، فتُجزَى بذلك إمّا عاجلاً وإمّا آجلاً ـ ثم قال : فلِمَ تَجرَ[1] أبو بكر ؟ ولِمَ تَجرَ عُمر ؟ ولِمَ تَجرَ عثمان ؟ ولِمَ تَجرَ الزُّبَيْر ؟ ولِمَ تَجرَ عبدُ الرحمن ؟ ولِمَ قال عُمر : إذا اشتريتَ جَمَلاً فاجعله ضخماً . فإن لم يَبِعْه الخُبْرُ[2] باعه المنظَر ؟ ولِمَ قال عُمر : فرِّقوا بين المنايا[3] . واجعلوا الرأس رأسين . ولِمَ قال عثمان حين سُئِل عن كثرةِ أرباحه . قال : لم أرْوَ من ربح قطُّ[4] . ولِمَ قيل : لا تشترِ عيباً[5] ولا شيباً[6] ؟ وهل حجَر علىٌّ بنُ أبى طالب على ابن أخيه عبدِ الله بن جعفر إلّا فى إخراج المال فى غير حقّه . وإعطائه فى هواه ؟ . وهل كان ذلك إلّا فى طلب الذِّكْر والتماسِ الشكر ؟ وهل قال أحدٌ : إنّ إنفاقه كان فى الخمور والقِمار ، وفى الفُسولة[7] والفجور ؟ وهل كان إلّا فيما تسمونه جوداً ، وتعُدّونه كرماً ؟ ومَنْ رأى أن يحجُر على الكرام لكرمهم . رأى أن يحجُر على الحُلماء لحِلمهم[8] . وأىّ إمامٍ بعد أبى بكر تريدون ؟ وبأىّ سَلَفٍ بعد علىّ تقْتَدُون ؟

وكيف نرجو الوفاءَ . والقيامَ بالحقّ . والصبرَ على النائبة . من عند لُعْمُوظٍ[9] مُستأْكِل ، ومَلاّق مُخادِع . ومَنْهُوم بالطعام شِرِهٍ . لا يبالى بأىّ شىءٍ أخَذَ الدِّرهَم ؟ ومن أىّ وجه أصاب الدينارَ ؟ ولا يكترث لِلمنّة . ولا يُبالى أن يكون أبداً منهوماً . منعوماً عليه . وليس يُبالى ـ إذا أكل ـ كيف كان ذلك الطعام ؟ وكيف كان سببُه ؟ وما حكمُهُ ؟

فإن كان مالُكَ قليلاً ، فإنّما هو قِوامُ عِيالك ، وإن كان كثيراً فاجعل الفاضلَ لعُدَّةِ نوائبك . (ولا يأمنُ الأيامَ إلّا المضلَّلُ) ، ولا يغترُّ بالسلامة إلّا المغفَّلُ . فاحْذر طوارقَ البَلاء ، وخُدَع

---

(١) فعل من التجارة .

(٢) بضم الخاء . والمراد العلم به .

(٣) جمع منية : الموت . والمراد هنا ما يتعرض للموت . والتفريق هو التوزيع فى أماكن مختلفة .

(٤) أى كان دائماً متعطشاً إلى الربح .

(٥) أى ذا عيب .

(٦) أى ضعيفا من كبر السن .

(٧) الدناءة .

(٨) أى لو كان الحجر على عبد الله بن جعفر لكرمه لجاز الحجر على الحليم وكل ذى فضيلة .

(٩) الحريص النهم .

رجال الدَّهاء . سَمُنك فى أديمك[1] ، وغَثُّك خيرٌ من سمين غيرك ، لو وجَدْتَه فكيف ودونه أسَلٌ[2] جِدَادٌ ، وأبوابٌ شِداد ؟ قالت امرأة لبعض العرب : « إنْ تزوجتنى كفيتُك » . فأنشأ يقول :

إذا لم يكن لى غيرُ مالِكِ ، مسّنى خَصَاصٌ[3] ، وبانَ الحمدُ مِنِّىَ والأجرُ[4]
وما خيرُ مالٍ ليس نافعَ أهلِهِ وليس لشيخ الحىِّ فى أمرِهِ أمرُ

وقال المَعْلُوطُ القُرَيْعِىّ :

أبا هانىء لا تسألِ الناسَ والتمِسْ بِكَفَّيْكَ سَتْرَ اللهِ فاللهُ واسعُ
فلو تسألُ الناسَ الترابُ لأوشكوا إذا قلتَ : هاتوا ، أن يَملّوا فيمنعوا

ثم رجعَ الحديثُ إلى أحاديث البخلاء ، وإلى طُرَف معانيهم وكلامهم .

* حكاية المكثر والمقل :

قال ابن حسّان : كان عندنا رجلٌ مُقِلٌّ ، وكان له أخٌ مُكْثِر . وكان مُفْرِطَ البخل ، شديدَ النَّفْجِ . فقال له يوماً أخوه : وَيْحكَ ! أنا فقير مُعْيِلٌ ، وأنت غنىٌّ خَفيفُ الظَّهْرِ ، لا تُعينُنى على الزمان ، ولا تُواسينى ببعض مالك ، ولا تتفرّجُ[5] لى عن شىء ! واللهِ ما رأيتُ قطُّ ولا سمِعت أبخَلَ منك ! قال : ويْحَكَ ! ليسَ الأمرُ كما تظنُّ ، ولا المالُ كما تحسُبُ ، ولا أنا كما تقول فى البخل ولا فى اليُسْر . واللهِ لو ملكتُ ألفَ ألفِ دِرهم ، لوهبتُ لك خَمْسَمائةِ ألفِ دِرهم . يا هؤلاء ، فرجلٌ يهَب فى ضربةٍ واحدة خَمْسَمائةِ ألفِ دِرهم ، يقال له : بخيل !

---

(١) الأديم والأدام : ما يؤتدم به . وهذا يشبه القول الدارج « زيته فى دقيقه » .
(٢) رماح .
(٣) فقر .
(٤) أى بعد عنى حمد الناس وأجر الله .
(٥) لا تتفرج عن شىء آخذه منك .

* كلام عن صاحب الثريدة :
وعن طاهر الأسير :

وأمّا صاحب الثَّرِيدَةِ البلقاءِ[1] ، فليس عَجَبِى من بُلْقَةِ ثريدته ، وسائرِ ماكان يظهر على خِوانه ، كعجبى من شىء واحِدٍ ، وكيف ضَبَطه وحَصَره وقَوِىَ عليه ؛ مع كثرة أحاديثه ، وصُنوفِ مذاهبه ؟ وذلك أنّى فى كثرة ما جالسته ، وفى كثرة ماكان فيه يُفَنَّن من الأحاديث ، لم أره خَبَّرَ أنّ رجلا وهب لرجل درهما واحداً ! فقد كان يُفَنَن فى الحزم والعزم ، وفى الحلم والعلم ، وفى جميع المعانى ، إلّا ذِكْرَ الجود ؛ فإنّى لم أسمع هذا الاسمَ منه قطُّ : خَرَجَ هذا البابُ من لسانه ، كما خَرَجَ من قلبه !

ويؤكِّدُ ما قلتُ ما حدّثنى به طاهرٌ الأسيرُ ، فإنّه قال : وممّا يدلُّ على أنّ الرومَ أبخلُ الأمم ، أنّك لا تجد للجود فى لغتهم اسما . (يقولُ : إنّما يُسَمِّى الناسُ ما يحتاجون إلى استعماله . ومع الاستغناء يسقطُ التكلُّف)[2]

وقد زعم ناسٌ أنّ ممّا يدلُّ على غشِّ الفُرْسِ ، أنّه ليس للنصيحة فى لغتهم اسم واحدٌ يجمع المعانىَ التى يقع عليها هذا الاسم . وقولُ القائِل : نصيحةٌ ، ليس يُراد به سلامةُ القلب[3] ؛ فقد يكون أن يكونَ الرجلُ سليمَ الصدرِ ، ولم يحدُثْ سببٌ من أجله يقصِد إلى المَشُورة عليك بالذى هو أردُّ عليك ـ على حَسَب رأيه فيك ـ وجهاً لنفعك . ففى لغتهم اسمٌ للسلامة ، واسمَ لإرادة الخير ، وحسنِ المشورة ، وحملِكَ بالرأى على الصواب . فللنصيحةِ عندهم أسماءٌ مختلفةٌ ، إذا اجتمعت دلّت على ما يدلُّ عليه الاسمُ الواحدُ فى لغة العرب . فمن قضَى عليهم بالغشِّ من هذا الوجه فقد ظلم .

* ابن عبد العزيز مع الأعور :

وحدّثنى إبراهيم بنُ عبد العزيز قال : تغدّيتُ مع راشدٍ الأعورِ ، فأُتِينا بجام[4] فيه بِيَاحٌ[5] سَبَخِىٌّ[6] ، (الذى يقال له الدُّرَّاج) . فجعلتُ آخذُ الواحدةَ فأقطعُ رأسَها ثم أعزِلُه ، ثم أشقُّها باثْنَيْنِ من قِبَلِ بطنها ، فآخذُ شوكةَ الصُّلْب والأضلاعَ فأعزِلُها ، وأرمى بما فى بطنها ، وبطَرَفِ

(١) لم يذكر اسمه تستّرا . والمراد بالثريدة البلقاء : الفتنة التى فيها بياض واحمرار لقلة الدسم والمرق .
(٢) أى تكلف وضع اسم له .
(٣) أى وحدها كما فى اللغة الفارسية .
(٤) بوعاء .
(٥) نوع من السمك .
(٦) يعيش فى ماء السبخة .

الذنَبِ والجنَاح . ثم أجمعُها فى لُقْمة واحده وآكلُها .

وكان راشدٌ يأخذ البَيَّاحةَ ، فيقطعُها قطعتين ، فيجعلُ قطعةً فى لُقْمة ، لا يُلْقِى رأسا ولا ذَنَباً ـ فصبرَ لى على لُقَمٍ عدّةٍ . فلمّا بلغتُ المجهودَ منه قال : أىْ بُنَىَّ ، إذا أكلتَ الطعامَ فكل خَيْره بشرّه !

قال : وكان يقول : لم أنتفعْ بأكل التمر إلّا مع الزَّنْج وأهلِ أَصْبَهان . فأمّا الزَّنْجِىُّ فإنّه لا يتخيّر ، وأمّا الأصبهَانىُّ فإنّه يقبِضُ القَبْضةَ ، ولا يأكل من غيرها ، ولا ينظر إلى ما بين يديه ، حتى يفرُغَ من القَبْضة .

وهذا عدلٌ . والتخيرُّ قِرْفَةٌ[1] وجَوْر . لا جَرَم أنّ الذى يبقَى من التمر لا يَنْتفِعُ به العِيالُ ، إذا كان قدّامَ مَنْ يتخيّرُ .

وكان يقولُ : ليس من الأدب أن تجولَ يَدُك[2] فى الطَّبَق ، وإنّما هو تَمْرٌ وما أصاب .

* ابن مكرم وما زعمه عن عمه :

وزعم سَرِىُّ بنُ مُكرَّمٍ ، وهو ابن أخى موسى بنِ جَناح ، قال : كان موسى يأمُرنا ألّا نأكلَ ما دام أحدٌ مِنّا مشغولاً بشرب الماء وطلبِه . فلما رآنا لا نُطاوِعه دعا ليلةً بالماء ، ثم خطَّ بإصبعه خطًّا فى أُرزَّةٍ كانت بين أيدينا ، فقال : هذا نصيبى ، لا تَعرّضوا له حتى أنتفِعَ بشرب الماء !

وأحاديثُه فى صَدْر هذا الكتاب . وهذا منها .

* المكى يتحدث لرفاق الطعام :

وقال المكّىُّ لبعض من كان يتعَشّى ويُفطرُ عند الباسِيانِىِّ : ويْحَكُمْ ! كيف تُسيغون طعامَه ، وأنتم تسمعونه يقول : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً ﴾ . ثم تَرَوْنه لا يَقْرَؤها إلّا وأنتم على العَشاء ، ولا يقرأ غيرَ هذه الآية . أنتم واللهِ ضدُّ الذى قال :

ألبانُ إبِلْ تَعِلَّةَ بنِ مُسافرٍ[3] ... مادام يملِكُها علىّ حَرَامُ
وطعامُ عِمْرانَ بنِ أوْفَى مثلُه ... مادام يسلُك فى البطون طعامُ
إنّ الذين يسوغُ فى أعناقهم ... زادٌ يُمَنُّ عليهِمُ لَلِئامُ

---

(١) قرفة بمعنى تهمة .

(٢) أى إذا مست يدك ثمرة فخذها ولا تتركها إلى غيرها .

(٣) تعلة بن مسافر : اسم رجل .

قال[1] : فتى تعجَبُ أعجَبَ من خمسين رجلا من العرب ، فيهم أبو رافع الكِلابيُّ ، وهو شاعر نَدِيٌّ[2] ، يُفْطِرون عند أبى عثمان الأعورِ . فإفطارى من طعام نَصْرانىّ أشدُّ من إفطارى من طعام مُسلم يقرأ القرآن ويقولُ الحقَّ[3]

* حديث على نهر الأبلة :

وحدّثنى أبو المنْجُوف السَّدُوسىُّ قال : كنتُ مع أبى ومعنا شيخٌ من مَوَالِى[4] الحىِّ . فمررنا بناطُورٍ[5] على نهر الأُبُلَّةِ ، ونحن تَعِبُون . فجلسنا إليه ، فلم يلبَثْ أنْ جاءنا بِطَبَق عليه رُطَبٌ سُكَّرٍ[6] وجَيْسوان أسْوَدُ[7] ، فوضعه بين أيدينا . فأكل الشيخ الذى كان معنا . فلما رأيتُ أبى لا يأكل لم آكل ، وبى إلى ذلك حاجةٌ . فأقبل الناطُورُ على أبى فقال : لِمَ لا تأكلُ ؟ قال : واللهِ إنى لأشتهيه . ولكنْ لا أظنُّ صاحبَ الأرض أباح لك إطعامَ الناس من الغَرِيب[8] . فلو جئتَنا بشىء من السَّهْرِيزِ والبَرنىِّ[9] لأكلنا . فقال مولانا ، وهو شيخٌ كبيرُ السنّ : ولكنِّى أنا لم أنظر فى شىء من هذا قطُّ .

* ما وقع لابن غزوان :

قال المكّىُّ : دخل إسماعيلُ بنُ غَزْوانَ إلى بعض المساجد يصلِّى . فوجد الصفَّ تامّا ، فلم يستطع أن يقومَ وحدَه . فجذب ثوبَ شيخ فى الصفِّ ليتأخر فيقومَ معه . فلمّا تأخر الشيخُ ورأى الفُرَجَ[10] ، تقدم فقام فى موضع الشيخ ، وترك الشيخَ قائما خلفَه ينظرُ فى قفاه ، ويدعو اللهَ عليه

* قاسم الثمار :

وكان ثُمَامَةُ يحتشم أن يعقدَ على خِوانه مَنْ لا يأنَسُ به . ومن رأيه أنْ يأكل بعضُ غِلمانه معه . فحبس قاسمُ الثَّمَّارُ يوماً على غَدائه[11] بعضَ من يحتشمُه . فاحتمل ذلك ثُمامةُ فى نفسه . ثم عاد بعد ذلك إلى مثلها ، ففعل ذلك مراراً ، حتى ضجَّ ثُمامةُ واستُفْرِغ صبرهُ .

---

(١) اى احد الذين ياكلون عند الباسيانى .
(٢) كريم .
(٣) يقول انه يفطر عند مسلم وهو الباسيانى . وليس كالذين يفطرون عند نصرانى وهو أبو عثمان الأعور .
(٤) المقصود بالموالى هنا من ليسوا عربا .
(٥) حارس النخل .
(٦) ، (٧) نوعان من الرطب الجيد .
(٨) النادر الجيد من التمر .
(٩) السهريز والبرنى : نوعان آخران من البلح .
(١٠) جمع فرجة .
(١١) غداء ثمامة .

فأقبل عليه فقال : ما يدعوك إلى هذا ؟ لو أردتُم لكان لسانى مطلقا ، وكان رسولى يؤدّى عنّى . فلِمَ تحبِسُ على طعامى من لا آنسُ به ؟ قال : إنّما أريد أن أسخِّيَكَ ، فأنفِىَ عنك التبخيلَ وسوءَ الظنّ .

فلمّا أن كان بعد ذلك ، أراد بعضُهم الانصرافَ ، قال له قاسمٌ : أين تريد ؟ قال : قد تحرَّك بطنى فأريدُ المنزلَ . قال : فلِمَ لا تتوضَّأ ها هنا ؟ فإنّ الكنيف خالٍ نظيفٌ ، والغلامَ فارغٌ نشيط ، وليس من أبى مَعْنٍ[1] حِشْمةٌ ، ومنزلُه منزلُ إخوانه ! فدخل الرجل فتوضأ . فلمّا كان بعد أيّامٍ حبَس آخرَ . فلمّا كان بعد ذلك حبسَ آخرَ !

فاغتاظ ثُمَامَةُ ، وبلغ فى الغيظ مَبْلَغاً لم يكن على مثلِه قطُّ . ثم قال : هذا يحبِسهم على غَدائى ، لأَنْ يسخِّيَنى بحبسهم ، على أنْ يخرءوا عندى ! لِمَهْ ؟ لأنّ مَنْ لم يخرَأ الناسُ عنده فهو بخيل على الطعام ! وقد سمِعتُهم يقولون : فلان يكره أن يُؤكل عنده . ولم أسمع أحداً قطُّ قال : فلانٌ يكره أن يُخرَأ عنده !

وكان قاسمٌ شديدَ الأكل ، شديدَ الخَبْطِ[2] ، قذِرَ المؤاكلة . وكان أسخَى الناس على طعامِ غيره ، وأبخلَ الناس على طعام نفسه . وكان يعمَلُ عملَ رجل لم يسمع بالحِشْمة ولا بالتجمُّل قطُّ . فكان لا يرضَى بسوء أدبه على طعام ثُمامةَ ، حتى يجرَّ معه ابنَه إبراهيمَ . وكان بينه وبين إبراهيمَ ابنِه فى القَذَر ما بينه وبين جميع العالَمين ! فكانا إذا تقابلا على خِوان ثُمامةَ ، لم يكن لأحد على أيْمانهما وشمائلِها حظٌّ فى الطيّبات !

فأتوه يوماً بقصعة ضخمة فيها ثَريدةٌ كهيئة الصوْمعة ، مكلَّلةٌ بإكليل من عُراقٍ[3] ، بأكثرَ ما يكون من العُراق . فأخذ قاسم الذى يستقبلُه ، ثم أخذ يَمْنةً ، وأخذ ما بين يَدَىْ من كان بينه وبين ثُمامة ، حتى لم يدعْ إلّا عَرْقاً قدَّامَ ثُمامة . ثم مال على جانبه الأيسر ، فصنع مثلَ ذلك الصنيع . وعارضه ابنُه وحاكاه ! فلمّا أنْ نظر ثُمامةُ إلى الثريدة مكشوفةَ القِناع ، مسلوبةً عاريةً ، واللحمُ كلُّه بين يديه وبين يدى ابنه إلّا قطْعةً واحدة بين يديه ، تناولها فوضعها قدَّامَ إبراهيمَ ابنِه ، ولم يدفعها[4] . واحتسَب بها فى الكرامة والبِرّ[5] . فقال قاسمٌ لمّا فَرَغ من غَدَائه : أمَا رأيتم إكرامَ ثُمامةَ لابنى ؟ وكيف خصه ؟

---

(١) ثمامة .
(٢) الضرب بيده فى الطعام .
(٣) العظام بلحمها .
(٤) إبراهيم .
(٥) أى اعتبر ذلك إكراماً له وبراً به .

فلمّا حكى هذا لى ، قلتُ : ويلكَ ! ما أظن أنّ فى الأرض عرْقاً أشأمَ على عيالك منه ! هذا أحرجَه الغيظ ، وهذا الغيظُ لا يتركه حتى يتشفّى منك . فإن قدرَ لك على ذنب فقد واللهِ هلكتَ . وإن لم يقدر عليه أقْدَرَه لك الغيظُ . وأبوابُ التجنّى كثيرةٌ . وليس أحدٌ إلّا وفيه ما إن شئتَ جعلتَهُ ذنباً . فكيف وأنت ذُنوبٌ من قَرْنك إلى قدمك !

* ثمامة يفطر الناس :

وكان ثُمامةُ يُفطِّرُ أيام كان فى أصحاب الفساطيط ناساً[1] . فكثُروا عليه ، وأتوهُ بالرِّقاع والشفاعات . وفى حِشْوة المتكلمين أخلاقٌ قبيحةٌ ، وفيهم على أهل الكلام[2] وعلى أرباب الصناعات مِحْنَةٌ عظيمة .

فلمّا رأى ثُمامةُ ما قد دهمه ، أقبل عليهم وهم يتعشَّوْن فقال : إنّ الله عزّ وجلّ لا يَسْتَحيي من الحقّ . كلُّكم واجِبُ الحقّ . وَمَنْ لم تجئنا شفاعتُه ، فأكرِمهُ كمن تقدَّمَتْ شفاعتُه . كما أنّا لو استطعنا أن نعمّكم بالبِرّ ، لم يكن بعضُكم أحقَّ بذلك من بعض فكذلك أنتم إذا أعْجزنا[3] أو بدا لنا[4] ، فليس بعضكم أحقَّ بالحِرمان من بعض ، أو بالحَمْل[5] عليه ، أو بالاعتذار إليه ، من بعض . ومتى قرّبتكم ، وفتحتُ بابى لكم ، وباعدتُ من هو أكثرُ منكم عدداً ، وأغلقت بابى دونهم ، لم يكن فى إدخالى إيّاكم عذرٌ لى ، ولا فى منع الآخرين حجّةٌ . فانصرِفوا ولا تعودوا !

* مغنى يقوم بدور الشرطة :

قال أبو محمد العَروضِىُّ : وقعتْ بين قوم عَرْبدةٌ ، فقام المُغَنّى يحجزُ بينهم ، وكان شيخاً مُعْيِلاً بخيلا . فسك رَجُلٌ بحَلْقة فعَصَره[6] ، فصاح : معيشتى ! معيشتى ! فتبسّم وتركه .

* مغنى وخابيـة فارغة :

وحدّثنى ابن أبى كَريمة قال : وهبوا لِلكنانىّ المُغَنّى خابيةً فارغة . فلمّا كان عند انصرافه وضعوها له على الباب . ولم يكن عنده كراءُ حَمَّالها . وأدركه ما يُدرك المُغَنِّينَ من التِّيه ، فلم

---

(١) جمع فسطاط . والمراد جماعات تجمع من أهل البلد . (٥) بالهجوم ومجابهته .
(٢) المراد بالكلام علم التوحيد . (٦) حاول خنقه .
(٣) عن أطعامكم .
(٤) أى ظهر لنا رأى فى حرمانكم .

يَحْمِلُها . فكان يَرْكُلها رَكْلةً ، فَتَدَحْرَجُ وَتَدُورُ بمبلغ حَمِيَّة الرَّكْلة . ويقومُ من ناحية كى لا يراه إنسانٌ ويرى ما يصنع . ثم يدنو منها ، ثم يركُلُها أخرى ، فَتَدَحْرَجُ وتدورُ ، ويقفُ من ناحية . فلم يَزل يفعل ذلك إلى أن بلغ بها المنزلَ !

* اختفاء عبد النور :

قالوا : كان عبد النور كاتبُ إبراهيم بنِ عبد الله بن الحسن قد استخفَى بالبَصْرة فى عبد القيس[1] ، من أمير المؤمنين أبى جعفر وعمَّالِه . وكان فى غُرْفة قُدّامَها جَنَاحٌ . وكان لا يُطلِعُ رأسه منها . فلمّا سكن الطلبُ شيئا ، وثبتَ عنده حسنُ جِوار القوم ، صار يجلس فى الجَناح ، يرضى بأن يسمع الصوتَ ولا يرى الشخصَ ، لِمَا فى ذلك من الأنس عند طول الوحشة . فلمّا طالت به الأيّام ، ومرّت أيّامُ السلامة ، جعل فى الجَنَاح خَرْقا بقدر عينه . فلمّا طالت الأيّام ، صار ينظر من شَقّ بابٍ كان مسموراً . ثم ما زال يفتحه الأوّلَ فالأوّلَ[2] ، إلى أن صار يُخرج رأسه ويُبْدِى وجهه . فلمّا لم ير شيئا يَرِيبه ، قعد فى الدِّهْليز . فلمّا زاد فى الأنس ، جلس على باب الدّار !

ثم صلّى معهم فى مُصَلّاهم ودخل . ثم صلّى بعد ذلك وجلس . والقومُ عَرَبٌ . وكانوا يَفِيضون فى الحديث ، ويذكرون من الشعر الشاهدَ والمَثَلَ ، ومن الخبرِ الأيّامَ[3] والمقاماتِ[4] . وهو فى ذلك ساكت ، إذ أقبل عليه ذاتَ يوم فتًى منهم ، خرج عن أدبهم[5] ، وأغفل بعضَ ما راضُوه به من سيرتهم ، فقال له : يا شيخُ ، إنّا قومٌ نخوض فى ضروب ، فربمّا تكلمنا بالمَثْلَبَةِ[6] ، وأنشدْنا الهِجاءَ . فلو أعلمتنا ممّن أنت ، تجنّبنا كلَّ ما يسوءك . ولو اجتنبنا أشعارَ الهِجَاء كلَّها ، وأخبارَ المثالبِ بأسرها ، لم نأمن أن يكون ثناؤُنا ومديحُنا لبعض العرب ممّا يسوءُك . فلو عرّفتنا نسبَك ، كفيناك سماعَ ما يسوءُك من هجاء قومك ، ومن مديح عدوِّك .

فلطمه شيخٌ منهم ، وقال : لا أمَّ لك ! مِحْنةٌ كمحنةِ الخوارج[7] ، وتنقيرٌ كتنقير العيّابين ؟ ولِمَ لا تدعُ ما يَرِيبك إلى مالا يَريبك ؟ فَتَسْكُتَ إلّا عما توقِنُ بأنّه يَسرُّه .

---

(١) قبيلة .
(٢) قليلاً . قليلاً .
(٣) الحروب .
(٤) أحاديث المجالس .
(٥) عما أدبوه به وعودوه عليه .
(٦) الذم .
(٧) يعنى أتريد أن تصيبا بمحنة مثل محنتهم ؟ ! .

قال : وقال عبد النور : ثمّ إنّ موضعى نبابى لبعض الأمر . فتحوّلتُ إلى شِقٍّ[1] بنى تميم . فنزلتُ برجل فأخذته بالثِقة ، وأكمنت نفسى إلى أن أعرِفَ سبيلَ القوم . وكان للرجل كنيفٌ إلى جانب داره ، يَشْرَع فى طريق[2] لا ينفُذ . إلّا أنّ مَن مَرّ فى ذلك الشارع رأى مسقَطَ الغائط من خلاء ذلك الجَنَاح . وكان صاحبُ الدار ضيّقَ العيش ، فاتّسع بنزولى عليه . فكان القوم إذا مرّوا به ينظرون إلى موضع الزِبل والغائط ، فلا يذهبُ قلبى إلى شىء ممّا كانوا يذهبون إليه .

فبينا أنا جالسٌ ذاتَ يوم إذا أنا بأصوات ملتَفّة على الباب ، وإذا صاحبى يَنْتَفِى[3] ويعتذر ، وإذا الجيرانُ قد اجتمعوا إليه وقالوا : ما هذا التَلْطُ[4] الذى يسقُط من جنَاحك ، بعد أن كنّا لا نرى إلّا شيئاً كالبعر ، من يُبْس الكَعْك ؟ وهذا تَلْطٌ يعبِّر عن أكلٍ غضٍّ[5] ! ولولا أنّك انتجعتَ[6] على بعض من تَسْتُر وتُوارِى لأظهرتَه . وقد قال الأوّل :

البِـــرّ دون الـفـاحشـاتِ ولا يـلـقـاك دون الخيرِ مِنْ سِتْرِ

ولولا أنّ هذا طَلِبَةُ السلطان ، لما توارَى . فلسنا نأمنُ من أن يجرَّ على الحىِّ بليّةً . ولستَ تُبالى ـ إذا حسُنتْ حالُك فى عاجل أيّامك ـ إلام يُفضِى بك الحالُ ، وما تلقَى عشيرتُك . فإمّا أنْ تُخرجَه إلينا ، وإما أنْ تخرجَ عنّا . قال عبد النور : فقلتُ : هذه والله القِيافةُ[7] ، ولا قيافةُ بنى مُدْلِجٍ[8] ! إنا لله ! خرجتُ من الجنّةُ إلى النار ! وقلتُ : هذا وَعِيدٌ . وقد أعْذَرَ مَنْ أنْذَرَ . فلم أظنَّ أنّ اللؤمَ يبلغ ما رأيتُ من هؤلاء[9] ، ولا ظننتُ أنّ الكرم يبلغ ما رأيت من أولئك[10]

* الجاحظ يشاهد الأصمعى :

شهِدتُ الأصْمَعىّ يوماً ، وأقبلَ على جلسائه يسألهم عن عَيْشهم ، وعمّا يأكلون ويشربون . فأقبل على الذى عن يمينه فقال : أبا فلانٍ ، ما أدْمُك ؟ قال : اللحمُ . قال : أكُلَّ يوم لحمٌ ؟ قال : نعم . قال : وفيه الصفراءُ والبيضاءُ ، والحمراءُ والكَدْراءُ ، والحامضةُ والحلوةُ والمُرّةُ ؟

---

(١) ناحية .
(٢) يفضى إليه .
(٣) ينفى عن نفسه .
(٤) السلح .
(٥) طرى .
(٦) الانتجاع : طلب الكلأ . والمراد هنا الانتفاع .
(٧) تتبع الأثر .
(٨) كانوا مشهورين بالقيافة .
(٩) بنو تميم .
(١٠) بنو عبد القيس .

قال : نعم . قال : بئس العيشُ هذا ! ليس هذا عيشَ آلِ الخطّاب . كان عُمَر بن الخطّاب (رحمةُ الله عليه ورضوانُه) يضرِبُ على هذا . وكان يقولُ : مُدْمِنُ اللحم ، كمدْمن الخمر .

ثم سأل الذى يليه قال : أبا فلان ، ما أدْمُك قال : الآدامُ الكثيرة ، والألوانُ الطيّبةُ . قال : أفى آدامِك سَمْن ؟ قال : نعم . قال فتجمعُ السمنَ والسمين على مائدة؟قال : نعم . . قال : ليس هذا عيشَ آلِ الخطّاب . كان ابنُ الخطّاب (رحمةُ الله عليه ورضوانُه) يضرب على هذا . وكان إذا وجدَ القُدورَ المختلفةَ الطُّعومِ كدَرها[1] فى قِدْر واحدة ، وقال : إنّ العربَ لو أكلت هذا لقتل بعضُها بعضا .

ثم يُقبل على الآخر فيقول : أبا فلان ، ما أدمُك ؟ قال : اللحمُ السمينُ ، والجِداءُ الرُّضَّعُ . قال : فتأكله بالحُوّارَى[2] ؟ قال : نعم . قال : ليس هذا عيشَ آلِ الخطّاب . كان ابنُ الخطّاب يضرب على هذا . أَو ما سمعتَه يقول : أتروْنى لا أعرف الطعامَ الطيِّبَ ؟ لُبابَ البُرِّ بصغار المِعَزى . أَلَا تراه كيف ينتفى[3] من أكله وينتحلُ[4] معرفتَه ؟

ثم يُقبل على الذى يليه فيقول : أبا فلان ، ما أدْمك ؟ فيقولُ : أكثرُ ما نأكلُ لحومُ الجزُورِ ، ونتّخذ منها هذه الفلاَيا[5] ، ونجعل بعضها شِوَاء . قال : أفتأكلُ من أكبادها وأسْنِمتِها[6] ، وتتّخذ لك الصِباغَ[7] ؟ قال : نعم . قال : ليس هذا عيشَ آل الخطّاب . كان ابنُ الخطّاب يضرِب على هذا . أوَ ما سمعتَه يقول : أتروْنى لا أقدِر أتّخذ أكباداً وأفلاذاً وصلائق وصِنابا[8] ؟ أَلَا تراه كيف يُنكر أكلَه ، ويستحسن معرفتَه ؟

ثم يقول للذى يليه : أبا فلان ، ما أدْمك ؟ فيقول : الشُّبارِقاتُ[9] والأخبصةُ[10] والفالوذجات[11]. قال : طعامُ العجم ، وعيشُ كِسْرَى ، ولُباب البُرّ بلُعاب النحل بخالص السمن ـ حتّى أتى على آخرِهم . كلّ ذلك يقولُ : بئس العيشُ هذا ! ليس هذا عيش آل الخطّاب . كان ابن الخطّاب يضرِب على هذا .

فلمّا انقضى كلامُه ، أقبل عليه بعضهم فقال : يا أبا سَعيد ، ما أُدْمُك ؟ قال : يوماً لبن ، ويوما زيت ، ويوما سمن ، ويوما تمر ، ويوما جبن ، ويوماً قَفار[12] ، ويوماً لحمٌ . عيشُ آلِ

---

(١) صبّها .
(٢) الدقيق الأبيض . والمراد خبزه .
(٣) يتبرأ .
(٤) أصل الانتحال إدعاء الشيء . والمراد أنه يعرفه .
(٥) المرق .
(٦) جمع سنام .
(٧) ما يشتهى كالتوابل .
(٨) لحوماً مشويه .
(٩) قطع اللحم الصغيرة المطبوخة .
(١٠) جمع خبيص : حلواء من التمر والسمن .
(١١) جمع فالوذج .
(١٢) من غير أدام (حاف) .

الخطّاب .

ثم قال : قال أبو الأشهب : كان الحسنُ يشترى لأهله كلَّ يوم بنصفِ دِرْهم لحما ، فإن غلا ، فبدرهم . فلمّا حُبِس عطاؤه كانت مَرَقته بشحم .

ونُبِّئْتُ عن رجل من قريش أنّه كان يقول : مِنْ لم يُحسِنْ يَمنعْ . لم يحسن يعطى . وأنّه قال لابنه : أىْ بُنَىَّ ، إنّك إن أعطيت فى غير موضع الإعطاء ، أوْشَك أن تستعطىَ الناس فلا تُعْطَى .

ثم أقبل[1] علينا فقال : هل علمتم أنَّ اليأسَ أقلُّ من القناعة واعزُّ[2] . إنّ الطمعَ لا يزال طمعاً ، وصاحبُ الطمع لا ينتظر الأسباب ، ولا يعرف الطَمع الكاذبَ من الصادِق . والعيالُ عِيالان : شهوةٌ مُفْسدة . وضِرْس طَحُون[3] . وأكلُ الشهوة أثقلُ من أكل الضِرس . وقد زعموا أنّ العِيالَ سوسُ المال . وأنّه لا مالَ لذى عيال . وأنا أقول : إنّ الشهوة تبلغ مالا يبلغُ السوسُ . وتأتى على ما يقْصُر دونه العِيالُ . وقد قال الحسنُ : ما عال أحَدٌ قطُ عن قَصْد[4] وقيل لشيخ من أهل البَصْرة : مالَكَ لا يَنْمى لك مالٌ ؟ قال : « لأنّى اتّخذتُ العِيالَ قبلَ المالَ . واتّخذ الناسُ المالَ قبلَ العِيالِ » . وقد رأيتُ من تقدّم عيالُه مالَه . فَجَبَرَهُ الإصلاح . وَرَفَدَه[5] الاقتصاد . وأعانه حسْنُ التدبير . ولم أر لَشَهْوانىّ تدبيراً . ولا لِشَرِهٍ صبراً . وقال إياسُ بنُ معاوية إنّ الرجلَ يكون عليه[6] ألفٌ [فينفق ألفاً] . فيُصْلِحُ . فتَصْلُح له الغَلّةُ . ويكون عليه ألفان . فينفق ألفين . فيُصلِح . فتَصْلُح له الغَلّةُ . ويكونُ عليه ألفان . فينفق ثلاثة آلاف . فيبيع العَقارَ فى فضل النفقة[7] .

وذكر الحديثَ عن أبى لِبِنةَ ، قال : كنت أرى زياداً وهو أمير ، يمرُّ بنا على بغلة فى عُنقها حبلٌ من ليف مدرَّجٌ[8] على عنقها .

وكان سَلْم بنُ قُتَيْبَةَ يركب بغلةً وحده . ومعه أربعة آلاف رابِطة[9] . ورآه الفضلُ بن عيسى على حمار وهو أميرٌ ، فقال : بِذْلةُ[10] نبىّ وقُعُودُ جَبّار[11] !

---

(١) الأصمعى .
(٢) أندر منها .
(٣) العيال .
(٤) إعتدال .
(٥) أعانه .
(٦) أى عائد عليه .
(٧) أى الزائدة عن الدخل .
(٨) مضيق .
(٩) أى عنده خيل كثير .
(١٠) البذلة : التبذل . والمراد التواضع .
(١١) أى عندما يقعد للحكم .

ولو شاء أبو سَيّارةَ[1] أن يدفع بالعرب[2] على جَمل مَهْرِيّ[3] أو فرس عتيق لفعل . ولكنّه أراد هُدَى الصالحين .

وحُمِل عُمَرُ على بِرْذَوْنٍ ، فَهَمْلَجَ[4] تحته . فنزل عنه . فقال لأصحابه : جنِّبُونى هذا الشيطانَ . ثم قال لأصحابه : لا تطلبوا العِزَّ بغيرِ ما أعزّكم اللهُ به .

قد كنتُ أعجبُ من بعض السَلَف حيث قال : ما أعرِفُ شيئاً ممّا كان الناس عليه إلّا الأذَانَ . وأنا أقول ذلك . ولم يزل الناسُ فى هبوط ما ترفعّوا بالإسراف ، وما رفعوا البنيان للمطاولة . وإنّ أعجبِ ما رأيتُ فى هذا الزمانِ ، أو سمِعت ، مفاخرةَ مُوَيسِ بنِ عِمْران لأبى عُبَيْد الله بنِ سليمان فى أيُّهما كان أسبق إلى ركوب البراذِين ! وما للتاجر وللبِرْذَوْنِ ؟ وما ركوبُ التاجر للبراذين إلّا كركوب العرب للبقر !

ولو كانوا إذا جلسوا فى الخُيوش[5] ، واتخذوا الحمّامات فى الدور ، وأقاموا وظائف الثلج والريحان[6] ، واتخذوا القِيان والخِصْيان ، استردّ الناسُ ودائعَهم ، واسترجعت القضاةُ أموال الأيتام والحَشْرِية[7] منهم ، لعادوا إلى دينهم وعيشهم واقتصادهم . وإذا رآهم أصحاب الغَلّات ، وأهل الشرف والبيوتات ، أنِفوا أن يكونوا دونهم فى البِزة والهيئة . فهلكوا وأهلكوا .

* جعفر فى بيت الأصمعى :

زعم أبو يعقوب الخُرَيْمِيُّ أنّ جعفر بنَ يحيى أراد يوماً حاجةً كان طريقُه إليها على باب الأصْمَعِيِّ ، وأنّه دفع إلى خادم له كيسا فيه ألف دينار ، وقال له : سأنزلُ فى رَجْعتى إلى الأصمَعِيّ . وسيحدِّثنى ويُضحكنى . فإذا رأيتَنى قد ضحِكْتُ فضع الكيسَ بين يديه .

فلمّا دخل فرأى حُبًّا[8] مقطوعَ الرأس ، وجرَّة مكسورة العُرْوة ، وقصعة مُشَعَّبَةً[9] ، وجَفْنَةً أعشاراً[10] ، ورآهُ على مُصَلّى بالٍ ، وعليه بَرَّكانٌ[11] أجردُ ـ غَمز غلامه بعينه ألا يضعَ الكيس بين يديه ، ولا يدفعَ إليه شيئاً .

فلم يدع الأصْمَعِيّ شيئاً ممّا يُضْحِك الثَكْلان والغَضَبان إلّا أورده عليه ، فما تبسم . فقال له

(١) ملك فى الجاهلية كان ناسكاً .
(٢) يركبهم إلى مواسم الحج .
(٣) نسبة إلى مهرة وهى حى فى العرب مشهور بالإبل الجيد .
(٤) سار مختالاً .
(٥) الخيمات المتخذة من الخيش . ويمكن أن تكون محرفة عن الخشوش وهى البساتين .
(٦) أى رتبوا لهم ثلجاً وريحاناً .
(٧) مال من يموت وليس له وارث .
(٩) أصلحت فى عدة مواضع .
(١٠) جمع عشر (بكسر العين) الجزء المنكسر عن الجفنة .
(٨) جرة كبيرة للماء (زير) .
(١١) نوع من الثياب .

إنسان : ما أدرِى من أىّ أمريْكَ أعجبُ ؟ أمن صبرِك على الضحِك [1] ، وقد أورد عليك مالا يُصْبَرُ على مثله ، أم من تركك إعطاءه ، وقد كنتَ عزمتَ على إعطائه ؟ وهذا خِلاف ما أعرِفكِ به !

قال : ويلَك ! من استرعَى الذئبَ فقد ظلم . ومن زرع سَبَخَةً حصَد الفقر . إنّى والله لو علمتُ أنّه يكتُم المعروفَ بالفعل [2] ، لما ارتفعتُ بنشره له باللسان . وأين يقع مديحُ اللسان ، من مديح آثار الغنى على الإنسان ؟ فاللسان قد يكذب ، والحال لا تكذِب . لله درّ نُصَيْب حيث يقول :

فعاجُوا فأَثنَوْا بالذى أنتَ أهْلُه ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

أعلمتَ أنّ ناوُوسَ أبْرَويزَ [3] أمدحُ له من شعر زُهير لآل سِنانِ بن أبى حارثة ؟ لأنّ الشاعر يكذِب ويصدُق ، وبنيانُ المراتب لا يكذِب مرَّة ويصدُق مرَّة . فلستُ بعائد إلى هذا بمعروف أبداً .

* طالب القرض والفرض :

كان الأصْمَعىّ يتعوّذ بالله من الاستقراض [4] والاستفراض [5] . فأنعمَ الله عليه ، حتى صار هو المستقرَضَ منه ، والمستفرَضَ ما عنده . فاتّفَق أن أتاه فى يوم واحد رجلان . وكان أحدهما يطلبُ الفرْضَ ، والآخر يطلبُ القَرْض . هجما عليه معا ، فأثقله ذلك وملأ صدره !

ثمّ أقبل على صاحب السَّلَف فقال : « تبدّلُ الأفعالُ ، بتبدُّل الحال . ولكلّ زمان تدبير ، ولكلّ شىء مقدار ، والله فى كلّ يوم فى شأن . كان الفقيه يمرُّ باللُّقَطَةِ ، فيتجاوزُها ولا يتناولُها ؛ كى يُمْتَحَنَ بحفظها سواه ، إذ كان جلُّ الناس فى ذلك الدهر يريدون الأمانة ، ويَحُوطون اللُّقَطَةَ . فلمّا تبدّلوا وفسَدوا ، وجب على الفقيه إحرازُها والحفظُ لها ، وأن يصبِرَ على ما نابه من المحْنة ، واختُبِر به من الكُلْفة » .

« وقد بلغنى أنّ رجلا أتى صديقا له يستقرض منه مالا ، فتركه بالباب ، ثم خرج إليه مُؤتزِرا [6] . فقال له : مالك ؟ قال : جئت للقتال واللِّطام ، والخصومة والصخَب . قال :

---

(١) أى كتمانه .
(٢) لما يفعله لإخفاء المعروف .
(٣) ملك الفرس . وتاووسه : قبره .
(٤) طلب القرض .
(٥) طلب القرض . وهو العطية .
(٦) لابسا الازار . ويبدو أن هذا كان علامة الخصام .

ولِم ؟ قال : لأنك فى أخذ مالى بين حالين : إمّا أن تَذهب به . وإمّا أن تَمْطُلَنى به . فلو أخذته على طريق البِرِّ والصِلَة ، لاعتددتُ عليك بحقّ ، ولوجب عليك به شكرٌ . وإذا أخذته من طريق السلف ، كانت العادةُ فى الديون ، والسيرةُ فى الأسلاف[1] ، الردَّ أو التقاضِىَ . وإذا تقاضَيْتُك أغضبتُك ، وإذا أغضبتُك أسمعتنى ما أكره ، فتجمعُ علىّ المَطْل وسوءَ اللفظ ، والوحشةَ وإفسادَ اليد فى الأسلاف ، وأنت أظْلمُ ؛ فأغْضَبُ كما غضِبْتَ . فإذا نقلتنى إلى حالِك فعلتُ فعلَكَ ، وصرتُ أنا وأنت كما قال العربىّ : أنا تِئِقٌ[2] وصاحبى مَئِق[3] ـ فما ظنّك بمئِق من الغيظ ، مملوءٍ من الغضب ، لاقَى مُتْأَفّاً[4] من المُوق[5] ، مملوءاً من الكفران ؟ ـ ولكنّى أدخل إلى المنزل ، فأخرُجُ إليك مؤتزراً ، فأعجِّلُ لك اليومَ ما أخّرتُه إلى غد . وقد علمتَ أنّ ضربَ الموعظة ، دونَ ضربِ الحقد والسَخِيمة ، فتربحُ صَرْف ما بين الألمين ، وفضلَ ما بين الشَتْمين » .

« وبعدُ فأنا أَضَنُّ بصداقتى لك ، وأشِحُّ على نصيبى منك ، من أنْ أُعَرِّضه للفساد ، وأنْ أُعِينَك على القطيعة . فلا تلمنى على أنْ كنتَ عندى واحداً من أهل عصرك . فإن كنتَ عند نفسك فوقَهم ، وبعيداً من مذهبهم ، فلا تكلِّف الناسَ علمَ الغيب فتظلمَهم » .

ثم قال : « وما زالت العاريَّةُ مؤدّاةً ، والوديعةُ محفوظة . فلمّا قالوا : أحقُّ الخيل بالرَكْض المُعار ، بعد أن كان يقال : أحقُّ الخيل بالصَوْن المُعار ؛ وبعد أن قيل لبعضهم : ارفُقْ به ، قال : إنّه عاريّة ، وقال الآخر : فاقتُلْ[6] ! ـ فسدتِ العاريّة ، واستَدَّ هذا الباب . ولمّا قالوا :

شمِّرْ قميصَك واستعِدَّ لنابلٍ[7] واحكُك جبينَك للقضاء بثُومِ[8]
واخفِض جَناحَك إنْ مَشَيْتَ تخشُّعاً حتّى تصيبَ وديعةً لِيتيم »

« وحين أَكَلَت الأماناتِ الأَمَناءُ والأَوْصِياءُ . ورَتَع فيها المعدَّلون والصرّافون[9] . وجبَ حفظُها ودفْنُها . وكان أكلُ الأرض لها خيراً من أكل الخَئون الفاجر ، واللئيم الغادر . وهذا مع قول أكثَم بنِ صَيْفىّ فى ذلك الدهر : لو سُئِلتِ العاريّة : أين تذهبين . قالت : أَكْسِبُ أهلىَ ذمّاً[10] » .

---

(١) جمع سلف .
(٢) السريع إلى الشر .
(٣) السريع إلى البكاء .
(٤) مملوءٌ .
(٥) الحمق .
(٦) أى لأنه ليس ملكاً لك .
(٧) رام بالنبل .
(٨) اى ادعك جبينك بثوم حتى يسود ويظن انه من أثر السجود فتختار للقضاء .
(٩) العدول .
(١٠) أى لأنهم أهملوا فى حق بإعارتى .

« وأنا اليومَ أنهى عن العاريّة والوديعة . وعن القرْض والفرْض . وأكره أن يُخالِف قولى فعلى . أمّا القرْض فلِما أنبأتُك . وأمّا الفرْض فليس يَسعُه إلّا بيتُ المال . ولو وَهَبْتُ لك دِرْهما واحداً ، لفَتَحْتُ على مالى باباً لا تَسُدُّه الجبالُ والرمالُ . ولو استطعتُ أن أجعل دونه رَدْماً كرَدْم يأجُوجَ ومأجُوجَ » .

« إنّ الناسَ فاغرةٌ أفواهَهم نحو من عنده دراهم ، فليس يمنعهم من النَهْس[1] إلّا اليأسُ . وإن طعِموا لم تبقَ راغِيةٌ[2] ولا ثاغِيةٌ[3] ولا سَبَد[4] ولا لَبَد[5] . ولا صامتٌ[6] ولا ناطق ، إلّا ابتلعوه والتهموه ! أتدرِى ما تريدُ بشيخك ؟ إنّما تريدُ أنْ تُفقِرَه . فإذا أفقرتَه فقد قتلته . وقد تعلَم ما جاء فى قتل النفس المؤمنة » !

* الجاحظ وثمامة :

فلم أشبّه الأصْمَعِّى لهذا الرجل ، حين قال : « أنا أضَنُّ بك ، وأشِحّ على نصيبى منك من أن أعرّضه للفساد » . إلّا بقول ثُمامة ، حين قال لابن سافرىّ : « بالنظرِ منّى أقول لك ، والشفقة منّى أسبُّك » . وذلك أنّه ندم ، فرأى أنّ هذا القول يجعل ذلك منه يدا ونِعْمة .

وشهِدتُ ثُمامة [وَقَدْ] أتاه رجل ، قال : لى إليك حاجةٌ . فقال ثُمامة : ولى إليك أيضًا حاجةٌ . قال : وما حاجتُك ؟ قال : لست أذكرُها لك . حتّى تضمَن لى قضاءها . قال : نعم . قال : فحاجتى ألّا تسألَنى هذه الحاجةَ . قال : إنّك لا تدرى ما هى ؟ قال : بلَى ، قد دريْتُ . قال : فما هى ؟ قال : هى حاجة . وليس يكون الشىءُ حاجةً ، إلا وهى تخرُج إلى شىء من الكُلْفة . قال : فقد رَجعْتُ عما أعطيتُك . قال : لكنّى لا أرُدُّ ما أخذتُ .

فأقبل عليه آخرُ فقال : لى حاجةٌ إلى منصورِ بنِ النُعْمانِ . قال : قل : لى حاجةٌ إلى ثُمامةَ ابن أشْرَس ، لأنّى أنا الذى أقضِى لك الحاجة ، ومنصورٌ يَقضيها لى . فالحاجة أنا أقضيها لك ، وغيرى يقضيها لى .

ثم قال : فأنا لا أتكلّم فى الولايات[7] ، ولا أتكلّم فى الدراهم . لأنّ الدراهم من قلوب الناس ، ولأنّ الحوائج تَنْقَضُّ[8] . فمن سألتُه اليومَ أن يُعطيك ، سألنى غداً أن أعطىَ غيرك .

---

(١) أخذ اللحم بمقدم الأسنان .
(٢) الناقة .
(٣) الشاة .
(٤) قليل .
(٥) كثير .
(٦) الذهب والفضة .
(٧) جمع ولاية والمراد لا أسأل أحداً عملاً لأحد .
(٨) نسقط سريعاً .